حتـى لا تسـقط الرايـة
(ســريــة مؤتــة)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

رقم الإيداع

٢٠١٨/١٤٠٥٠

دار الإيمان للمعرفة

١ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

تليفون/ ٠١٠٠٥٧٦٠٦٦٣ - ٠١١١٨٩٣٣٦٢٤

بريد الكتروني/ elhbibmohamed@gmail.com

هكذا تحدث رسول الله ﷺ

حتى لا تسقط الراية
(سرية مؤتة)

رواية ورؤية

توحيد الزهيرى

١ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
تليفون/ ٠١٠٠٥٧٦٠٦٦٣ -
٠١١١٨٩٣٣٦٢٤

الرؤيـــــة

(الملاحـــظات التفســـيرية والمراجـع)

الـــروايـــــة

تقديم

فى زمن الهزيمة والعار والانكسار، الذى يتسابق فيه أصحاب الفخامة والجلالة من الرؤساء والملوك والأمراء على طلب الرضى ممن اغتصبوا الأرض، وشردوا العرب من ديارهم، وانتهكوا الحرمات، ولم يتورعوا عن قتل الأطفال والنساء والعجزة والشيوخ... فى هذا الزمن نحتاج إلى أن نتذكر قصة حياة الرجال «الحقيقيين»، الذين صدقوا ما عاهدوا عليه ربهم، وكان الموت بالنسبة إليهم - حقاً وصدقاً - الباب الضيق الذى ينفتح لأهل الإيمان على جنة عرضها السماوات والأرض لعل الذكرى تنتشلنا من مستنقع العفن الذى غرقنا فيه.

وفى هذا الزمن الذى اختلط فيه الحابل بالنابل، وأصبح لكل ناعق يرفع الشعارات الإسلامية الرنانة الجوفاء قطيع من الاتباع سفهاء الأحلام، يذكروننا بالخوارج، الذين حدثنا عنهم رسول الله.

وجاء التاريخ بالبرهان القاطع على صدق من لا ينطق عن الهوى... فى هذا الزمن الذى امتهنت فيه فريضة الجهاد (القتال فى سبيل الله)، أصبحنا فى أشد حاجة إلى «العلم» بمعنى هذه الفريضة، وتبين معالمها التى ضاعت فى غبار الشعارات التى يرفعها الطامعون فى السلطة؛ بحثاً عن غنائمها الدنيوية «الزائلة»!!

ومن أجل هذا أصدر هذه «الرواية» التى تعد حلقة من الملحمة الكبرى، التى أنشد اخراجها تحت عنوان جامع: «هكذا تحدث رسول الله». حيث أقدم فيها السيرة النبوية منزهة عن خرافات وأساطير القدماء والمحدثين، ومتضمنة الأحاديث النبوية فى نصوصها الكاملة، كما قيلت فى الأحداث التى وردت فيها، وليس كما تبعثرت وتناثرت أطرافها فى مراجع السنة النبوية، تحت مختلف أبوب الفقه والروايات (الصياغات اللفظية) المختلفة.

ونقسم الكتاب - كما اعتدت أن أصنع - إلى جزئين: الأول: الرواية التى تقص الحدث فى صياغة تحترم مقتضيات الفن (الجمال) دون أن تحيد عن حقائق العلم (التاريخ).

الثانى: الرؤية التى أقدم فيها تفسير «النصوص الدينية» التى جاءت فى سياق الرواية، وأبين المصادر (المراجع) التى أخذت منها تلك النصوص.

وبعـد

فأرجو من الله ﷻ أن يكون قد وفقنى إلى بيان الحق وجلاء الحقيقة.

توحيد الزهيرى

عبد اللّه بن رواحة

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ (١) ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

كان عقد صلح (هُدنة) الحديبية بين قريش والمسلمين فى شهر ذى القعدة من العام السادس بعد الهجرة، فرصة سانحة لرسول الله لينشر دعوته خارج نطاق الجزيرة العربية؛ فأرسل الرسائل (الكتب) إلى الملوك والأمراء، الذين يحكمون البلاد حول جزيرة العرب؛ يدعوهم إلى الإيمان والدخول فى الإسلام؛ من أجل احلال السلام وإنهاء الحرب.

ومن تلك الرسائل، بعث «الحارث بن عُمَيْر» الأزدى بكتاب، إلى «الحارث بن أبى شمر» ملك دولة الغساسنة يدعوه فيه إلى الدخول فى الإسلام؛ لعل ذلك يكون سبباً فى نشر الإيمان فى القبائل العربية فى شمال غرب الجزيرة العربية التى تخضع لسلطان مملكة الغساسنة.

وكانت مملكة الغساسنة تبسط سلطتها على منطقة جنوب الشام على تخوم جزيرة العرب - وتقع حالياً فى نطاق المملكة الأردنية الهاشمية - وتتخذ من مدينة «بُصرى» عاصمة لها. تلك المدينة التى كانت أسواقها

هى هدف قوافل قريش وسائر العرب التجارية فى كل عام.

وكانت مملكة الغساسنة تخضع لسلطان الإمبراطور البيزنطى (الرومى) فكان ملكها يُعد نائباً أو والياً يحكم باسم إمبراطور الروم، وعليه أن يحمى مصالح الإمبراطورية البيزنطية وقوافلها التجارية، الآتية من آسيا (الهند والصين) عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر (بحر القلزم) أو عبر الطرق البرية فى شمال الجزيرة العربية، وأن يُخضع القبائل العربية فى شمال غرب الجزيرة العربية لسلطة الإمبراطور البيزنطى، مقابل أن يمنحه الروم حمايتهم ويُبقوه على سُدة الحكم.

وكان انتشار ديانة الإسلام (عقيدة وشريعة القرآن) يعنى - من الناحية السياسية والتاريخية - تحرير العرب فى شمال الجزيرة العربية من سلطة الروم، الذين اجتهدوا عبر عشرات السنين فى نشر الديانة المسيحية، التى صارت الديانة الرسمية للإمبراطورية؛ لأن نشر المسيحية كان يعنى استتباب الأمر واستقرار النفوذ البيزنطى على تلك القبائل.

ولذلك رأى الملك الغسانى أن دعوة محمد التى يحملها كتابه إليه، تعنى منازعة الروم فى سلطانهم، وتقويض حكمه الذى يسبغ عليه الروم الحماية.

ولذلك أمر قائد جيشه «شرحبيل بن عمرو» الغسانى بقتل مبعوث محمد. فخرج فى سرية حربية وألقى القبض على حامل كتاب رسول الله،

وأوثقه بالحبال وطعنه. ثم تركه حتى مات من العطش والجوع.

وعندما بلغ رسول الله نبأ هذه الفاجعة؛ قرر أن يرسل حملة عسكرية لتأديب الغساسنة الذين قتلوا رسوله، الذى حمل كتاباً يدعو إلى الإسلام واحلال السلام، ولم يحمل سيفاً للقتال.

وفى شهر جمادى الأولى من سنة ثمانية بعد الهجرة، صلى رسول الله بالناس صلاة الظهر ثم قام فيهم خطيباً؛ يأمرهم ويحفزهم للخروج للقتال.

قال: «**انطلقوا إلى مَنْ قتل الحارث بن عمير، وادعوا من هناك إلى الإسلام. فإن أبوا إلا القتال فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم.**

عليكم زيد بن حارثة أمير الناس. فإن أُصيب، فجعفر بن أبى طالب على الناس. فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس. فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً منهم، فليجعلوه أميراً عليهم».

وكان رجل يهودى اسمه «النعمان بن مهض» قد اندس بين الناس فى المسجد؛ ليستطلع أخبار المسلمين فقال: يا أبا القاسم، إن كنت نبياً حقاً، فسميت من سميت من أصحابك، قليلاً أو كثيراً، أُصيبوا جميعاً؛ فإن أنبياء بنى إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم، ثم قالوا إن أصيب فلان ففلان، فلوسمى مائة رجل أصيبوا جميعاً.

يريد تخويف الأمراء القادة الثلاثة، الذين عين رسول الله أسماءهم بأنهم سيصابون جميعاً فى المعركة الوشيكة، ويشيع الخوف واليأس فى قلوب المسلمين، والتشكيك فى نبوة محمد.

وسكت رسول الله ولم يرد عليه؛ لأن الرد عليه كان بلا فائدة. فإن أكد إصابة الأمراء؛ حقق غرض اليهود فى إخافة الناس. وإن شكك فى إصابتهم شكك فى نبوته. وهذا هو الهدف النهائى للرجل اليهودى.

ولم يفقد الرجل اليهودى أمله فى الوصول إلى غايته؛ فذهب إلى أول الأمراء زيد بن حارثة وجلس بجواره، وقال له: اعهد وأعط وصيتك؛ فإنك لن ترجع من خروجك هذا، إِنْ كان محمد نبياً حقاً. فأطرق زيد قليلاً.

ثم رفع رأسه وواجه اليهودى بقوله: أشهد أن محمد رسول الله، وأنه صادق بار.

۞ ۞ ۞

وعقد رسول الله راية بيضاء اللون، ودفعها إلى زيد بن حارثة؛ للإعلام بأن رسول الله قد اختاره أميراً على هذا الجيش، يتولى قيادة الجنود وإدارة أعمال القتال.

واعترض كثير من أصحاب النبى الكبار، خاصة المهاجرين من أشراف قريش على تولية زيد بن حارثة إمارة الجيش؛ لأنه لم يكن - فى نظرهم - أكثر من عبد مملوك أسود اللون، من قبيلة كلب التى تعد فرعاً من قبائل قضاعة، التى تسكن فى شمال الجزيرة العربية على التخوم الجنوبية للشام. خُطِفَ وهو طفل صغير، لم يبلغ السابعة، وبيع فى سوق العبيد، فاشتراه حكيم بن حزام، أخو خديجة بنت خويلد امرأة رسول الله، الذى تبناه ثم أعتقه. فكيف يصبح هذا العبد أميراً على جيش يضم الكثير من أشراف قريش وعلية القوم من الأنصار أهل المدينة (يثرب)؟!!

وكان المتكلم بلسان حال المعترضين جعفر بن أبى طالب - ابن عم النبى - وأحد سادة قريش وحفيد عبد المطلب - جد النبى - سيد مكة بلا منازع.

فانتفض ووثب قائماً واندفع يقول للنبى: بأبى أنت وأمى يا رسول

الله، والله ما خفت أبداً أن تستعمل (تؤمر) زيداً عَلَيَّ. يعنى أنه ما خطر بباله يوماً أن يكون زيد بن حارثة أميراً عليه!!

فقال له رسول الله فى حزم وحسم: **امض لما تؤمر. فإنك لا تدرى أى ذلك خير.**

وتجهز كل من أراد الذهاب فى هذه السرية، وهيأوا أنفسهم للخروج للقتال.

وكانوا قرابة ثلاثة ألاف مقاتل.

ولم يجمع المسلمون جيشاً بمثل هذا العدد الكبير - فى نظرهم - من قبل، اللهم إلا فى غزوة الخندق (يوم الأحزاب) فى السنة الخامسة قبل الهجرة، قبل ما يقرب من ثلاثة أعوام.

۞ ۞ ۞

وأقبلت جموع الناس الذين لن يخرجوا للقتال، يتوافدون على العازمين للخروج، وعلى الأمراء الثلاثة يودعونهم، قبل المغادرة والفراق، ويشجعونهم على القتال والثبات فى وجه الأعداء.

فلما جاءوا إلى عبد الله بن رواحة ليودعوه، بكى بكاء شديداً.

فسألوه متعجبين: ما يبكيك يا ابن رواحة؟!

فقال: أَمَا والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة إليها، ولكنى سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١].

فلست أدرى كيف لى الصَّدَر (الصدور أى الرجوع عنها) بعد الورود؟

فلم يعلموا بما يجيبونه. فأرادوا طمأنته وبث الأمل فى قلبه، فقالوا له: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين.

وتجمع الجيش قريباً من المسجد. فخرج إليهم رسول الله وركب ناقته. ثم سار يتقدمهم حتى بلغ ثنية الوداع، على الطرف الشمالى للمدينة عند أول الطريق الذاهب إلى الشام. فوقف. فتوقفوا وتجمعوا بين يديه فعلاً صوته واعظاً: «**أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً**.

اغزوا باسم الله فى سبيل الله عدو الله وعدوكم بالشام (الروم والعرب الغساسنة ومن تحالف معهم من القبائل العربية التى دخلت فى المسيحية: ديانة الروم)

ستجدون رجالاً فى الصوامع (الأديرة) **معتزلين الناس؛ فلا تعرضوا لهم.**

وستجدون آخرين للشيطان فى رؤوسهم مفاحص (أعشاشاً) **فافلقوها بالسيوف.**

لا تقتلن امرأة ولا وليداً ولا صغيراً ضَرَعاً (ضعيفاً ضاوى الجسم) **ولا كبيرا** (شيخا عجوزا) **فانيا.**

ولا تقربن نخلاً ولا تقطعن شجراً، ولا تهدمن بيتاً. لا تغدروا ولا تغلوا (لاتختلسوا من الغنائم قبل تقسيمها بيد الأمير أو الحاكم).

وإذا لقيتم عدوكم من المشركين، فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فأيتهن ما أجابوكم إليها، فاقبلوا منهم وكفوا الأذى عنهم.

ادعوهم إلى الإسلام. ثم ادعوهم إلى التحول من دراهم إلى دار المهاجرين (المدينة المنورة مركز الحكم).

فإن فعلوا، فأخبروهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحولوا عنها، فأخبروهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين، ولا يكون لهم

فى الغنيمة والفئ شىء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن هم أبوا، فسلوهم الجزية.

فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم.

فإن هم أبوا، فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم.

وإن حاصرتم أهل حصن أو مدينة فأرادوكم أن تجعلوا لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعلوا لهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن اجعلوا لهم ذمتكم وذمة أبآئكم فإنكم إن تخفروا ذمتكم (تغدروا بعهودكم) وذمم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله»[٢]

وانصرف رسول الله ومعه كبار أصحابه، الذين لم يخرجوا إلى القتال. وعادوا إلى المدينة، حيث بدأوا يستعدون لصلاة يوم الجمعة.

وتحرك الجيش بقيادة زيد بن حارثة، حاملاً راية رسول الله البيضاء، متجهين صوب الشام.

ونظر عبد الله بن رواحة إلى رسوال الله وهو يبتعد عنهم، فجاش صدره بوحشة الفراق وتضاربت فيه انفعالات شتى، فقال مودعاً حبيبه نبى الله:

خَلَفَ السلام على امرئ ودعته ** فى النخل خير مشيع وخليل

وشق الجيش طريقه إلى الشام، تاركاً مدينة رسول الله وراء ظهره. وأحس عبد الله بن رواحة بالتردد. وداخله الإضطراب وشعر بعطش شديد إلى أن يرى وجه رسول الله. أحب أن يُلقى عليه نظرة الوداع قبل أن يغادر هذه الحياة الدنيا.

وتباطأ عبد الله بن رواحة فى سيره، بينما كانت صفوف الجيش تندفع إلى الأمام. فصار وحيداً فى المؤخرة بعد أن تخلف عنهم.

ثم وجد نفسه تسوقه قدماه إلى مسجد رسول الله. واندس بين صفوف المصلين، بينا كان رسول الله ينهى خطبته. ثم نزل رسول الله من فوق المنبر ليصلى بالناس. وقام عبد الله فى الصفوف يصلى آخر صلاة تتيحها له الدنيا خلف رسول الله.

ولما انصرف رسول الله من صلاته والتفت مواجهاً الناس الذين كانوا وراءه، رأى عبد الله بن رواحة بين الناس فى المسجد.

فدعاه وقال له بصوت وشى بالغضب والعتاب: **ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟!**

فقال عبد الله كالمعتذر: أردت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحق بهم.

فقال له رسول الله: **لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم.**

وتجمع الناس فى المسجد، وتزاحموا حول رسول الله، لما رأوه يحدث عبد الله.

فواصل رسول الله حديثه قائلاً:

لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها. ورباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه.. خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل.. خير من الدنيا وما فيها.

ما من عبد يموت - وله عند الله خير - يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله جميع ما على الأرض من شىء إلا الشهيد؛ فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل فى سبيل الله عشر مرات، لما يَرَى من الكرامة.

يُؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟

فيقول: أى يا رب خير منزل

فيقول الله له: سل وتمنه!!

فيقول العبد: ما أسألك وما أتمنه؟!

أسألك أن تردنى إلى الدنيا، فأقتل فى سبيلك عشر مرات، لما رأى من فضل الشهادة. لموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها،

ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت.

ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت بوجهها إلى الأرض لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض ولملأت الأرض وما بينهما عطراً.. ريح مسك.

ولنَصِيفها (خمارها أو تاجها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها. ولو أنها أشرفت على الأرض لذهب ضوء الشمس ونور القمر، ولكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة من الشمس، لا ضوء لها وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضئ ما بين المشرق والمغرب. ولو أنها أخرجت كفها لافتتن الخلائق بحسنها.[٣]

فقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، مرنى بشيء احفظه عنك؟

فقال رسول الله: **إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل فأكثر السجود.**

وفهم عبد الله أن السر فى هذا الأمر هو أن الديانة المسيحية التى كانت تنتشر فى بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية لم تكن الصلاة فيها تتضمن السجود.

قال عبد الله: زدنى، يا رسول الله.

فقال رسول الله: **أذكر الله كثيراً، فإنه عون لك على ما تطلب.**

فسار عبد الله يمضى ذاهباً إلى أصحابه، لكنه رجع كأنه يتردد، فقال يريد الاستزادة من وصية رسول الله: يا رسول الله، إن الله وتر يحب الوتر.. يريد أن يقول: أتوصينى بصلاة الوتر فى آخر الليل.

فأراد رسول الله أن يحسم هذا التردد، ويكفه عن التلكؤ، ويثبته على الطريق: **يا ابن رواحة، ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة.**

وفهم عبد الله أن عليه أن يجتهد فى الطاعة قدر ما فى وسعه، ولا يجعل ثقته فى عمله بل تكون الثقة فى رحمة الله الواسعة ومغفرته؛ فإن حسنة واحدة تكفى لمحو عشر سيئات.

فقال: لا أسألك عن شىء بعدها. ومد يده ليصافح رسول الله ويودعه، وهو يتذكر يوم بيعة العقبة الكبرى، قبل ما يزيد على ثمانية أعوام، عندما بايع الأنصار رسول الله وعاهدوه، على أن يأووه فى مدينتهم، وأن يحموه ويدافعوا عنه، كما يحمون ويدافعون عن أنفسهم ونسائهم وأولادهم.

ويومها كان عبد الله بن رواحة نقيب بنى الحارث بن الخزرج.

وفاض لسانه بما ضاق به صدره من انفعالات أثارتها الذكرى؛ فقال مخاطباً النبى، ومشجعاً نفسه ومطمئناً لها على حسن المصير:

إنى تفرست فيك الخير أعرفه ** والله يعلم ما خاننى البصر

أنت النبى ومن يحرم نوافله ** والوجه منك فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حُسن ** تثبيت موسى ونصراً كالذى نُصروا

فقال له النبى: **وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة.**

۞ ۞ ۞

كان شاعراً مطبوعاً، مرهف الحس، جياش العواطف ينفس بلسانه عما يضيق به صدره من وجدان.

وأسرع الخطى فوق ناقته ليلحق بالجيش الذى كان يتقدم بسرعة على الطريق إلى الشام.

وأردف وراءه - على حقيبة الرحل فوق ناقته - زيد بن أرقم، وهو يتيم من ذوى رحمه رباه عبه الله بن رواحة فى حجره. وكان كثير الإحسان إليه والرعاية له، كما لو كان زيداً ابناً له؛ لأن عبد الله بن رواحة لم ينجب.

وعلى الطريق تغنى ببعض الأبيات من الشعر، معبراً عن رغبته المحمومه فى أن يُقتل شهيداً فى سبيل الله ولا يرجع إلى أهله.

وتناهى صوته إلى سمع زيد بن أرقم، فبكى بكاء شديداً.

فقال عبد الله بن رواحة: وما عليك يالكع (أيها الصغير الأحمق) أن يرزقنى الله الشهادة فأستريح من الدنيا ونصبها وهمومها وأحزانها، وترجع أنت سالماً بين شعبتى الرحل (طرفيه الأمامى والخلفى).

وفى السحر، قبيل الفجر توقف الجيش للراحة، والاستعداد لصلاة الصبح، قبل الدخول فى منطقة وادى القرى، شمال غرب الجزيرة العربية جنوب تبوك.

ونزل ابن رواحة من فوق ناقته. ثم صلى ركعتين، ودعا دعاء طويلاً هامساً، وربيبه زيد بن أرقم على مقربة يراقبه متأملاً حزيناً.

ثم انصرف ابن رواحة من دعائه، والتفت إلى زيد، فنادى عليه: يا غلام.

قال زيد: لبيك.

قال عبد الله: هى الشهادة، إن شاء الله.ثم رفع المؤذن صوته بنداء صلاة الفجر.

وبعد الصلاة ومع انتشار نور الصبح تحرك الجيش نحو الشام.

۞ ۞ ۞

عندما غادر جيش المسلمين عاصمة ملكهم: يثرب (المدينة المنورة) نقلت العيون خبرهم إلى الغساسنة، فسعى ملكهم إلى حشد أكبر جيش من القبائل العربية التى تعيش فى شمال الجزيرة العربية، والتى كانت قد دخلت فى الديانة المسيحية بفضل جهود بعثات التبشير البيزنطية.

وهكذا استطاع الغساسنة حشد قرابة مائة ألف مقاتل من جنودهم، والمقاتلين من قبائل قضاعة، وجذام وبهراء، وبلى ولخم ووائل وبكر.

وكان ملك الغساسنة يريدها معركة حاسمة تستأصل شأفة خطر «محمد» وتقضى على الفتنة التى تثيرها دعوته. ولذلك أرسل إلى هرقل ملك الروم (الإمبراطورية البيزنطية) يستنهضه ويستحثه إلى إرسال حملة عسكرية كبيرة تساهم فى القضاء على الخطر الداهم، الذى أصبح لا يهدد نفوذ الروم على القبائل العربية الخاضعة لسلطانهم فحسب؛ بل يهدد الروم أنفسهم فى عقر دارهم، وفى البلاد الخاضعة لسلطانهم فى الشام ومصر وشمال أفريقيا.

وبعد أن اطمئن على تعبئة جيشه من نصارى العرب، طفق يرسل العيون، ويقدم الطلائع (السرايا الصغيرة) على الطريق المؤدى إلى الشام؛ تستكشف الطريق وتحاول الاحتكاك بجيش المسلمين قبل أن يصل، لتتعرف على قوته وتستنفد جهده فى معارك صغيرة قبل الملحمة الكبرى.

وعندما اقترب المسلمون من وادى القرى - وهو الطريق الذى توجد عليه قرى العُلا والحِجر (مدائن النبى صالح) وتيماء - خرجت عليهم سرية من إحدى القرى الصغيرة، وباغتت مقدمة جيش المسلمين، بهجمة سريعة خاطفة، وقتلت رجلاً منهم. ثم لاذت بالفرار ودخلت الحصن.

وتشاور قادة المسلمين مع جنودهم. ثم استقر رأيهم على ألا يشتتوا جهدهم، ويستهلكوا قوتهم ووقتهم فى حصار أهل هذا الحصن؛ خشية أن تكون هذه الحركة كميناً أعده الغساسنة؛ ليهاجموهم من خلفهم، إذا توقفوا لحصار الحصن.

ولذلك رأوا أن يمضوا فى طريقهم، تاركين قتيلهم بعد أن دفنوه دون انتقام.

وعندما توغل المسلمون فى وادى القرى، بوغتوا بسرية قوامها خمسون مقاتلاً تهاجمهم.

كانت تلك السرية بقيادة سدوس بن عمرو، أخى شرحبيل بن عمرو، قائد جيش الغساسنة الذى سبق له أن قتل مبعوث رسول الله. وكان الهدف من إرسال هذه الطليعة هو تقدير قوة المسلمين ومدى استعدادهم للقتال عبر الاحتكاك المباشر.

فانتفض المسلمون، واندفعوا لقتال سرية (طليعة) الغساسنة بشراسة، وتمكنوا من قتل قائدها فتخاذل أصحابه وانكشفوا ففروا مذعورين.

وعادت فلول سرية الغساسنة إلى ملكهم. فأرسل يستعجل الإمبراطور البيزنطى ليبعث بالحملة العسكرية، للقضاء على خطر المسلمين الذين يريدون غزو الشام، وانتزاعها من سلطانه. بل يريدون غزو بلاد الروم، إِنْ تركوا دون رادع يكبح جماحهم.

أما المسلمون، فقد تشجعوا بعد هزيمة طليعة الغساسنة، فاندفعوا يتقدمون حتى وصلوا إلى أرض معان (جنوب الشام وتقع الآن فى المملكة الأردنية الهاشمية)

وهنالك توقفوا. وأرسلو «العيون» تتحسس أخبار جيش الغساسنة: كم عدد المقاتلين وأين يعسكرون؟

وجاءت العيون بأنباء بالغة السوء. إذ قالوا أنهم قد علموا أن إمبراطور الروم هرقل، قد جاء إلى أرض قرية مؤاب بقراية مائة ألف مقاتل، سينضمون إلى جيش الغساسنة بقيادة شرحبيل بن عمرو وجيش القبائل العربية المتحالفة معهم بقيادة مالك بن رافلة. وبذلك يصبح قوام جيش الأعداء مائتى ألف مقاتل!!

وكان النبأ صدمة مفزعة أصابتهم بالحيرة والاضطراب. «إننا ثلاثة

ألاف مقاتل، فكيف لنا أن نواجه ونصمد أمام مائتى ألف مقاتل، قد اكتمل تجهيزهم وتم استعدادهم، لخوض معركة الحسم؛ للقضاء على شأفة الإسلام؟ هل نرسل إلى رسول الله كتاباً نخبره فيه بكثرة عدونا؟ وأنه لا قَبِل لنا بمنازلته، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمر بأمر فنمضى له»؟

يمنون أنفسهم بالانسحاب والعودة إلى البلاد والأهل والأحباب.

لم يتوقعوا أن يجابهم مثل هذا الجيش الهائل، فما العمل؟!

وأقاموا ليلتين بمعان يتشاورون ويتدبرون أمرهم. ولم يحسم التردد إلا عبد الله بن رواحة، الذى قام فيهم خطيباً فقال: يا قوم، والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون. إنها الشهادة.

إننا لا نقاتل الناس بعدد ولا عدة.والله ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به.

فانطلقوا، فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور، وإما شهادة، وليست بشر المنزلتين.

ومحا عبد الله بن رواحة بصوته القوى، وعاطفته الصادقة الجياشة، وحماسته الفياضة الخوف واليأس من قلوب أصحابه، وقتل التردد، فتشجعوا وصاح بعضهم: والله لقد صدق ابن رواحة.

فنهضوا وتقدموا شمالاً حتى وصلوا إلى قرى «مشارف»، فى جنوب أرض حوران

وهنالك تناهت إلى أسماعهم أصوات زحف جيش الروم مع حلفائهم من نصارى العرب.

كانت أصوات الزحف مرعبة، تنذر بمعركة طاحنة. فانحاز المسلمون إلى قرية صغيرة اسمعها مؤتة. وأسرعوا بتعبئة جيشهم على عجل، وتنظيم صفوفهم إلى ميمنة وميسرة وقلب. ووزعوا الألوية (الأعلام) على قادة المجموعات، واتفقوا على كلمة «السر» التى يتعارفون بها على بعضهم عند احتدام القتال واختلاط الصفوف. جعلوا على ميمنة الجيش قطبة بن قتادة من بنى عُذرة، وعلى ميسرة الجيش عبادة بن مالك الأنصارى (من أهل المدينة المنورة).

وكان الأمراء الثلاثة فى مقدمة القلب. ومن خلفهم ساقة (مؤخرة) الجيش.

واندلعت المواجهة بهجوم كاسح من الروم وحلفائهم، تتقدمهم فرق من الفرسان حاملى السيوف والرماح، على خيول قد طُليت سُرُجها بالذهب، يرفعون سيوفاً ذات مقابض مُذَّهبَة، تلمع فى ضوء الشمس، ويلبسون قمصاناً من الحرير والديباج. ومن ورائهم الرماة

يقذفون بالسهام كأنها جراد منتشر.

وأدرك المسلمون أنهم لا قبل لهم بمنازلة هذا الجمع المحتشد، الذى لم يتوقعوه ولم يقدروا له حساب. وانكسرت قلوب فقراء المسلمين مثل أبى هريرة، لما رأوا الديباج والحرير والذهب الذى يلمع فى ضوء الشمس.

فوقف حائراً، يبرق بصره، وتشرد أفكاره، لا يعلم كيف يقاتل هؤلاء الأعداء المهاجمين. وكان لا يجيد القتال؛ لأنه قد قضى طفولته وشبابه خادماً مع أمه، فى بيوت الأثرياء. يصاحبهم فى رحلاتهم؛ ليجهز لهم أماكن الراحة والطعام ويقوم على رعاية وخدمة الدواب.

ولاحظ ثابت بن أقرم - وكان حليفاً للأنصار - أن أبا هريرة يقف كالتائه شاخص العينين شارد النظرات.

فقال له: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة.

فقال أبو هريرة: نعم

فقال ثابت: إنك لم تشهد معنا يوم بدر. إنا لم نُنْصر بكثرة العدد.

ولم يكد ثابت بن أقرم يكمل حديثه، حتى فُجع المسلمون بسقوط أميرهم زيد بن حارثة صريعاً برماح الأعداء، بعد أن طعنه مالك بن

رافلة – أمير العرب النصارى الذين تحالفوا مع الغساسنة – طعنة قاتلة.

واندفع الأمير الثانى جعفر بن أبى طالب، فالتقط الراية حى لا تسقط، وثبتها فى سرج فرسته، واندفع يقاتل الأعداء وهو يترنم صادحاً بقوله:

يـــا حبـــذا الجنـــة واقـــترابها ** طيبـــــة وبـــــارداً شـــــرابها

والـــروم روم قـــد دنـــا عـــذابها ** كافـــــرة بعيـــــده أنـــســـابها

عَلَىَّ إذ لاقيتها ضرابها

ولكن الروم هجموا عليه بالسيوف والرماح. وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم. ثم التحموا به، وناوشوه حتى أجهدوه. فاقتحم (نزل) عن فرسته، التى جاءتها ضربة صارمة، قطعت عرقوبها (الوتر خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق، المناظر لوتر أخيليس فى جسم الإنسان) فوقعت الفرس على الأرض. وكادت الراية البيضاء أن تسقط فاختطفها جعفر بيمينه، فجاءته ضربة حاسمة قطعت يمينه، فتناول راية رسول الله بشماله، فعاجلته ضربة قطعت شماله. فحاول أن يحتضن الراية بعضديه حتى لا تسقط، لكن الروم انهالوا عليه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، حتى لم يبق فى جسده موضع لم يصبه جرح نافذ؛ فخر قتيلاً.

وأسرع رجل من المسلمين فانتشل راية رسول الله، قبل أن تسقط وتدوس عليها الأقدام. وأسرع بتسليمها إلى الأمير الثالث عبد الله بن رواحة.

فأخذ الراية. ولكنه تردد بعض التردد للحظات، وانحاز قليلاً متأخراً عن القتال.

وحدث نفسه بالشعر الذى فاض به لسانه، معبراً عما يجيش فى صدره.

وسمعه من كان حوله من المقاتلين يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ** طائعة أو لتكرهنة

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ** مالى أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كُنتِ مطمئنة ** هل أنت إلانطفة فى شنة

ثم قال:

يا نفس إلا تقُتلى تموتى ** هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت قد أعطيت ** إن تفعلى فعلهما هديت [٤]

ورآه ابن عم له شاحباً متردداً شارد النظرات، فظن أنه يعانى من الضعف والتعب بسبب الجوع. فقدم له عظماً به بقية من لحم جمل مذبوح. وقال له: شد صلبك بهذا؛ فإنك قد لقيت فى يومك هذا ما لقيت.

فتناول ابن رواحة قطعة العظم، وأكل بمقدم أسنانه شيئاً يسيراً من لحمها، وهو يفكر فى مصيره.

واخترق سمعه صوت الناس وهم يقتتلون ويتدافعوان حوله، فصاح فى نفسه: وأنت مازلت فى الدنيا؟! فألقى قطعة العظم من يده، وأخذ السيف وتقدم على فرسه يقاتل، وهو يرفع الراية.

لكن جنود الأعداء لم يمهلوه، فانهالوا ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح.

فانبثق الدم من صدره، فاستقبله بيده، ودلك به وجهه كما لو كان يتوضأ. وسرعان ما سقط صريعاً بين الصفين، حيث اختلط واشتبك المسلمون مع أعدائهم. وصاح وهو يلفظ أنفاسه دامع العينين: يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم.

فاجتهد جماعة من المسلمين فى استنقاذ جسده من أيدى أعدائهم، بالهجوم عليهم حتى يتمكنوا من حمله بعيداً، لكنه مات فى مكانه.

واستنقذ راية رسول الله أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصارى أحد أبطال معركة بدر لكبرى الذى تمكن من أسر عم النبى عباس بن عبد المطلب، وكان عباس وقتها فى جيش كفار قريش.

أخذ أبو اليسر الراية حتى لا تسقط. ووقف حائراً لا يعرف لمن يسلمها؛ لأن مقتل القائد الثالث: عبد الله بن رواحة كان الضربة الفاجعة التى قصمت ظهر جيش المسلمين فتبعثرت صفوفه وتناثرت أشتاته. وفر الجنود فرادى فى كل وجه، لا يلوون على شىء فلم ير أبو اليسر فى الفلول الهاربة اثنين مجتمعين معاً.

بل فكر بعضهم فى الفرار إلى الجنوب، وركوب القرن الشرقى لبحر القلزم (البحر الأحمر) والرجوع إلى المدينة المنورة. ولكنهم خافوا أن يقابلهم رسول الله والمسلمون بأقبح وجه، وربما ضُربت أعناقهم عقوبة لهم على الفرار من وجه الأعداء فى يوم الزحف، وقالوا فى أنفسهم «لو رجعنا إلى المدينة على هذه الحال قُتلنا».

وثبت قطبة بن عامر مع قلة قليلة، وأخذ يصيح فى الفلول الهاربة: يا قوم إِنْ يقتل الرجل مقبلاً فى الحرب خير له من أن يقتل مدبراً.

ولكن ضاع نداء قطبة بن عامر هباء ولم يُجد فتيلاً فى إثناء المتخاذلين عن فرارهم.

وكان قطبة بن عامر أحد أبطال معركة بدر الكبرى. عندما حُمَّ القضاء، وصار القتال حتماً مقضياً رمى حجراً بين الصفين وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر.

وفى المدينة المنورة، علم بالوحى نبى الله بمقتل أمرائه الثلاثة، وما وقع بجيشه، فأصابه حزن عميق وأحاط به وجوم شديد. فصلى بالناس صلاة الظهر، وقد بدت الكآبة على وجهه، وبقى صامتاً ثم أسرع بالدخول إلى بيته، دون أن يلتفت إلى الناس، أو يكلمهم بكلمة واحدة.

فشق ذلك على الناس؛ إذ كان من عادته إذا انصرف من صلاته بالناس، أن يقبل عليهم بوجهه ويحدثهم أو يجيبهم إذا سألوه. وكان أحياناً يصلى النافلة بعد صلاة الظهر فى المسجد، قبل أن يدخل إلى بيته. فتساءلوا فى خوف وحزن عن سر كآبته وصمته.

وبعد لحظات خرج من بيته، وذهب إلى بيت ابن عمه جعفر بن أبى طالب، فاستأذن فى الدخول على امرأته أسماء بنت عميس. وكانت قد أنهت أعمال منزلها فى الصباح، فجهزت العجين وغسلت أولادها ودهنت شعر رؤوسهم ومشطتهم.

فقال رسول الله لها: **ايئتينى ببنى جعفر**. فذهبت وأحضرتهم له. فأصابتها دهشة شديدة، تشبه الذهول عندما رأته يحتضنهم ويتشممهم ويقبلهم وعيناه تذرفان.

فقالت وقد تسرب الشك والخوف إلى قلبها: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى ما يبكيك؟! أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟

فكفكف دموعه وحزم أمره؛ إذ لابد من أن تُعلم الحقيقة. قال فى حسم: **نعم أصيبوا هذا اليوم.**

فانتفضت أسماء بنت عميس، ولم تستطع أن تتمالك نفسها، فهرولت تخرج من الحجرة وهى تصيح مولولة. وسرعان ما اجتمع عليها النساء، حتى غُص بهم البيت، وطفقن يسألنها عن سر بكائها وعويلها.

ولم يستطع رسول الله أن يمكث فى بيت جعفر، الذى طفح بالحزن والنحيب، فقال وهو على الباب يتهيأ للخروج: **لا تغفلوا عن آل جعفر. اصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم.**

ومن بيت جعفر طار نبأ مقتل الأمراء الثلاثة، وهزيمة المسلمين هزيمة ساحقة لم يُر مثلها قط. وزاد المنافقون نيران الحزن والخوف اليأس اشتعالاً، فقالوا: إن الجنود المسلمين قد فروا أمام أعدائهم، الذين يطاردون الفلول الهاربة فى صحراء الشام؛ حتى لا يُبقوا من جيش المسلمين أحداً.

وجاء وقت صلاة العصر، فخرج رسول الله من بيته فصلى بالناس، وظل على حزنه وصمته.

وأسرع بالدخول إلى بيته بعد الانصراف من الصلاة، دون أن يكلم الناس بشىء أو يبين لهم ما حدث على أرض الشام. فتأكدت فى صدور

الناس أنباء الهزيمة والعار؛ فملأت قلوب المؤمنين بالهم والغم وتألق الفرح فى قلوب المنافقين.

ثم غربت الشمس وحان وقت الصلاة. فخرج من بيته عندما استأذنه بلال فى إقامة الصلاة. فصلى بالناس وقد وشى صوته عند تلاوة القرآن بالأسف الشديد. وأسرع بالدخول إلى بيته بعد الانصراف من الصلاة، دون أن ينظر إلى الناس أو ينبس لهم ببنت شفة.

فخيمت ظلمات الخوف والحزن واليأس على قلوب المؤمنين مع هبوط الليل الذى جثم ظلامه على الصدور، مثل جبل ثقيل. وازداد الأمر سوء بعد صلاة العتمة إذ انتشرت فى المدينة، انتشار النار فى الهشيم، أقوال تتحدث عن قدوم جيش الروم لغزو المدينة، واستئصال شأفة الإسلام، بعد ما استطاعوا إبادة جيش المسلمين.

فمرت علي المؤمنين من أهل المدينة أسوأ ليلة. لم يذوقوا فيها للنوم طعما؛ من شدة الهم وثقل الغم اللذين رزحت تحت وطأتهما صدورهم، التي مارت فيها أسئلة مشتعلة حائرة عن المستقبل الغامض.

ولم يذق المنافقون للنوم طعماً من شدة الفرح؛ استبشاراً بقرب طرد «محمد» وأصحابه من يثرب، وإرجاعهم إلى بلادهم أذلاء مهانين، أو تشتيتهم فى الصحراء مشردين تائهين حتى يبتلعهم الموت فى جوفه

المظلم. «سيعود العرب قريباً إلى ما كانوا عليه قبل خروج محمد بدعوته التى أثارت الفتن والاضطرابات فى شتى أرجاء جزيرة العرب، وخدعت عقول السفهاء بخرافات الحياة بعد الموت، والبعث من القبور والحساب، والخلود فى الجنة أو النار».

وفي صباح اليوم التالي دخل المسجد، ليصلى بالناس صلاة الفجر، فتعلقت أبصارهم بوجهه فرأوه يبتسم. بدا لهم متألقاً كأنه القمر ليلة البدر.

فلم يملكوا أنفسهم في شدة الفرح، وقاموا إليه وتزاحموا حوله مستبشرين يسألونه عما حدث وعن سر صمته وحزنه، وعن مصير جيشهم الذى خرج ليقاتل الروم وحلفاءهم من العرب.

لم يستطيعوا الصبر حتى يصلى بهم صلاة الصبح.

قالوا: يا نبى الله، والله لا يعلم إلا الله ما كان فى أنفسنا من الوجد والخوف منذ رأينا منك الذى رأينا بالأمس.

فقال وقد بدت الراحة والطمأنينة فى صوته: **كان الذى رأيتم منى، أنه قد أحزننى قتل أصحابى، حتى دخلت الجنة البارحة، فرأيتهم - فيما يرى النائم - إخواناً فى خيمات من الدر، على سرر من ذهب متقابلين. ورأيت فى بعضهم إعراضاً.. رأيت زيداً وابن رواحة كأن فى أعناقهما صدوداً (التواءً) ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود.**

فسألت: لِمَ؟

فقيل لى: إنهما حين غشيهما الموت اعترضا كأنهما كرها السيف، فصدا بوجهيهما. أما جعفر فإنه أقبل ولم يفعل مثلهما.

ورأيت فى سرير عبد الله بن رواحة إزوراراً (ميلاً واعوجاجاً) عن سريرى صاحبيه.

فقلت: لِمَ؟ عم هذا؟

فقيل لى: مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى.

ومر بى جعفر بن أبى طالب فرأيتهً ملكاً فى ملأ من الملائكة، ذا جناحين مخضبين بالدم مصبوغ القوادم، قد أبدله الله من ذراعيه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء[٥].

وأصابتهم دهشة عارمة، فنظروا إلى وجهه المتألق، وهم مذهولون من هذه الرؤيا العجيبة، التى قالت لهم بأفصح لسان وبما لا مزيد عليه من البلاغة: إن الله عليم بظاهر الإنسان وباطنه، ومطلع على أدق خلجات النفس البشرية، فهو حاضر مع خلقه، يعلم بما يدور فى أنفسهم.

۞ ۞ ۞

وفى ميدان المعركة بأرض مؤتة، لم يجد أبو اليسر فى القلة القليلة من المقاتلين الذين ثبتوا ولم يفروا، أفضل من ثابت بن أقرم، فأسرع إليه وأعطاه الراية. فأخذ ثابت الراية وسار بها - وهو يرفعها - أمام من بقى على أرض المعركة من المقاتلين، ثم ركزها فى الأرض على صخرة مرتفعة حتى يراها الذين فروا وابتعدوا.

ثم أخذ ينادى بأعلى صوته: إِلَّى أيها الناس. أيها الناس هلم إِلَّى.

فوصل صوته إلى بعض الفارين فثابوا إلى رشدهم، وطفقوا يجتمعون إليه، وينضمون إلى من ثبتوا ولم يفروا. وسرعان ما التئام شمل الجيش فقال ثابت: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ليكون أميراً عليكم.

فقالوا له: أنت.

فقال: والله، ما أنا بفاعل.

ثم نزع الراية من الصخرة، ومشى بها إلى خالد بن الوليد وأعطاها له. فقال خالد: لا آخذها منك أنت أحق بها منى.

فقال ثابت: والله ما أخذتها إلا لك. أنت أعلم بالقتال منى.

۞ ۞ ۞

فأخذ خالد بن الوليد راية رسول الله البيضاء. وكان ظلام الليل يهبط. واكتفى الروم وحلفاؤهم بما حققوه من غلبة ظاهرة طوال النهار، فأخذوا يعودون إلى معسكرهم مع غروب الشمس فرحين بفوزهم المبين على المسلمين.

وذهبوا ليستريحوا من عناء القتال، ويفكروا ماذا سيصنع المسلمون غداً. هل سيلوذون بالفرار عائدين إلى مدينتهم، مهزومين يجرون أذيال الخيبة والعار؟ أم سيجمعون أشتات فلولهم التى تبعثرت، ويعاودون القتال؛ ليذوقوا مرة أخرى هزيمة أدهى وأمر.

ووراء ستار الظلام الذى أسدله الليل على الأرض، سارع المسلمون بدفن قتلاهم، وأمرائهم الثلاثة، فجمعوهم فى حفرة واحدة.

ونظروا فى جسد جعفر، فلم يروا موضعاً يخلو من جرح. وعد بعضهم الجروح فوجدوها بضعاً وخمسين، بين ضربة بسيف أو طعنة برمح.

وتحت وطأة ظلام الليل الثقيل، بات خالد بن الوليد مهموماً؛ لثقل الأمانة التى أُلقيت على كاهله. إنه يحمل راية رسول الله، وهو حديث عهد بالإسلام لم يمض على دخوله فى الدين الجديد إِلاَّ أقل من ثلاثة شهور. وعليه أن يعود بجيش المسلمين قليل العدد، والذى انهارت

شجاعته وإرادة القتال فى قلوب جنوده تحت وطأة هزيمة ساحقة، لم يذُق مثلها من قبل. لقد حَمّلَه المسلمون أمانة قيادة جيشهم.

وعليه أن يفكر فى الأمر بحكمة القائد العسكرى، الذى يجب عليه أن يعلم - بوضوح تام - الهدف الذى من أجله خرج الجيش للقتال، وأن يقدر ما معه من قوة؛ من أجل تحقيق هذا الهدف، وأن يكتشف الوسائل التى تمكنه من الوصول إلى هدفه. وقبل كل شىء وبعد كل شىء أن يحفظ جيشه، وأن يعود به فى كامل قوته قدر المستطاع.

لقد بعثهم رسول الله فى حملة عسكرية من أجل إظهار قوة المسلمين؛ حتى لا يستهين بهم أعداؤهم، الذين جرأوا على قتل سفير يحمل رسالة سلام، والدعوة إلى الدخول فى الإسلام. إن الهدف من إرسالهم كان ردع وتأديب الغساسنة، وليس غزو الشام وانتزاعها من سلطة الروم، وإخضاعها لحكم المسلمين. وبالطبع لم يكن الهدف غزو الروم وإخضاعهم لحكم المسلمين. «لكننا بوغتنا أن الغساسنة وحلفاءهم من العرب، وسادتهم من الروم قد تجهزوا واستعدوا بما لا قبل لنا به؛ من أجل سحق جيش المسلمين. إذن، فالهدف الأعلى لنا هو إنقاذ جيش المسلمين من الإبادة، والرجوع به سالماً قدر الإمكان».

ولا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا باستعادة إرادة القتال، والثقة

بالنفس والشجاعة. ولا يمكن الوصول إلى شىء من هذا إلا بتخويف الروم وحلفائهم، وانزال الخسائر بهم حتى يكتفوا بما أحرزوه ويكفوا عن القتال؛ فنتمكن من الرجوع إلى رسول الله سالمين.

«فكيف السبيل إلى ذلك؟»

«ولو دخل المسلمون فى معركة طاحنة مع الروم وحلفائهم، فُهزم المسلمون هزيمة ساحقة ستتجرأ عليهم القبائل العربية، التى تنتظر الفرصة السانحة للانقضاض على المسلمين فى المدينة المنورة».

«إن الأمر لم يستتب بعد لرسول الله، ولم تزل قريش فى أم القرى على كفرها وحربها لرسول الله. صحيح أنهم قد عقدوا معه صلح الحديبية، واتفقوا معه على هدنة مدتها عشرة أعوام، لكن إِنْ ضُرِب المسلمون ضربة قاصمة، فستغدر قريش بالعهود، وتؤلب القبائل على حرب رسول الله من أجل القضاء على الإسلام».

«وليس من الحكمة فى شىء إطالة البقاء على أرض الشام، وقد تجهز الروم واستعدوا للقتال حفاظاً على ملكهم، وتكالب العرب الخاضعون لسلطان الروم على محاربة المسلمين».

«إذن فالمطلوب معركة سريعة خاطفة ترهب الأعداء. ثم الانسحاب بسرعة فى نظام، يحفظ قوة الجيش، وينقذه من الانسحاق تحت ضربات

المطاردة».

وتفتق ذهن خالد بن الوليد عن فكرة حكيمة وحيلة ذكية. سيغير ترتيب الجيش؛ فيجعل الميمنة بقواتها وأعلامها على الميسرة، ويجعل الميسرة مكان الميمنة، ويدفع بالساقة (المؤخرة) إلى مقدمة القلب، ويؤخر المقدمة إلى الصفوف الخلفية، ويأمرهم بالحركة فى المكان؛ حتى يثيروا غباراً كثيفاً فيتوهم الأعداء أن أمداداً كبيرة تأتى من المدينة المنورة.

وفى الصباح، عندما أشرقت الشمس على يوم جديد وانتشر ضوءها على أرض المعركة، فوجئ الروم وحلفاؤهم بوجوه غريبة، وأعلام مختلفة لم تكن بالأمس، تواجههم فى صفوف المسلمين، ورأوا غباراً كثيفاً يتصاعد من خلف الصفوف. موجات متوالية من النقع، تأتى من وراء جيش المسلمين؛ فظنوا أن أمداداً كبيرة قد جاءت إليهم من الجزيرة العربية.

ونزل فى قلوبهم الرعب. فتخاذلوا وبدأوا ينسحبون مضطربين من وجه المسلمين، الذين رأوا أنها فرصة فريدة قد أتاحها الله لهم، ولا ينبغى تضييعها لينالوا من الروم وحلفائهم بعض ما يشفى غليلهم ليردوا اعتبارهم، ويثأروا لكرامتهم التى أهينت بالأمس.

وجاء بعض العرب المسلمين من الأماكن القريبة فانضموا للجيش المسلم؛ ليساعدوا إخوانهم فى قتال الروم، ومن تحالف معهم من نصارى العرب.

واندفع المسلمون للقتال، تملأ قلوبهم حمية الإيمان، والثقة فى وعد الله.

وكانت صيحة قطبة بن عامر: «يا قوم إِنْ يُقتل الرجل مقبلاً، خير له من أَنْ يُقتل مدبراً» هى خير معين لهم على الثبات والإقدام.

ذبح رجل من المسلمين فى الليل جملاً؛ من أجل إطعام الجنود قبل بدء القتال فى الصباح. فأسرع إليه رجل مسلم من أهل اليمن، ليس معه إلا سيفه، وطلب منه قطعة من جلد الجمل، فأعطاه إياها. فاتخذها كهيئة الدرع، ومضى إلى جوار عوف بن مالك، مع من تقدم من المسلمين لقتال جموع الروم وحلفائهم.

فرأى الرجل اليمنى فارساً رومياً؛ على فرس أبيض عليه سرج مُذَّهب، وبيده سيف قد طلى مقبضه بالذهب، يضرب به فى المسلمين. فملأ الغيظ والحنق قلب المسلم اليمنى، فكمن خلف صخرة. فلما مر الفارس الرومى أمامه، وثب المسلم اليمنى عليه، وضرب ساق الفرس ضربة حاسمة قطعت عرقوبه، فوقع الفرس على الأرض وخر الفارس الرومى، فوقع عليه المسلم اليمنى، وعلاه بسيفه وقطع رقبته وأخذ الفرس الأبيض ذا السرج المذهب، والسيف ذا المقبض الذهبى، وانطلق مختالاً فوق الفرس الأبيض، رافعاً وملوحاً بالسيف فى وجوه الروم، الذين رُعِبوا وتخاذلوا وشرعوا فى الفرار.

واندفع خزيمة بن ثابت ليبارز فارساً رومياً، على رأسه خوذة فيها ياقوتة حمراء تخطف الأبصار بجمالها الأخاذ.

فأصبحت هذه الياقوتة رائعة الجمال هى هدف خزيمة الذى لا يحيد عنه بصره.

فضرب الفارس الرومى بسيفه، ضربة أمالت رأسه على كتفه، وأسرع خزيمة ينتزع الياقوتة الحمراء من خوذة القتيل.

وتمكن قطبة بن قتادة من الوصول إلى مالك بن رافلة - أمير نصارى العرب من غير الغساسنة - الذى قتل زيد بن ثابت أول الأمراء المسلمين.

فطعنه برمحه فى عنقه طعنة قاتلة فنفذ الرمح من رقبته، وسقط على الأرض، مصطدماً بها، فانكسر من شدة الضربة، التى حملت الرغبة العارمة فى الانتقام.

واندفع المسلمون وقد تلبستهم قوة علوية هائلة، يضعون سيوفهم حيث شاؤا فى أجساد الأعداء الفارين. وحمل خالد بن الوليد على الروم وحلفائهم حملة لا تبقى ولا تذر، حتى اندقت وانكسرت فى يده تسعة سيوف، ولم تصبر معه إلا صفيحة يمانية (سيف عريض مصنوع فى اليمن).

وهُزم الروم وحلفاؤهم فى هذا اليوم هزيمة لم يُرَ مثلها قط، وقُتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم قط. وغابت شمس اليوم، وجاء لليل، وقد انتقم المسلمون لهزيمتهم بالأمس.

۞ ۞ ۞

وفى المدينة المنورة، أشاع المنافقون أن المسلمين قد هُزِموا أسوأ هزيمة، وأن الروم قد أبادوا جيشهم. وقالوا: إن محمداً قد أخفى الحقيقة، وخدع الناس بمعسول كلامه عن السرر المصنوعة من الذهب، فى الخيام الدرية التى تتناثر فى جنات النعيم، التى يخدع بها السفهاء من الناس.

«لقد تكلم عن ذهاب أمراء جيشه إلى الجنة، ولكن لم يحدثنا عن مصير جيشه على أرض الشام، أين ذهب الجنود وكم بقى منهم؟»

واهتزت المدينة وزُلزلت بهذه الأحاديث.

فأمر رسول الله بالنداء: «الصلاة جامعة.. الصلاة جامعة» فاجتمع الناس واحتشدوا فى المسجد. فصلى بهم صلاة الظهر. ثم صعد المنبر فقال:

الحمد الله الذى لا إله إلا هو

أيها الناس

أنا أخبركم عن جيشكم هذا.

إنهم انطلقوا فلقوا العدو.

فأخذ الراية زيد، فأصيب وقُتل شهيداً، غفر الله له.

ثم أخذها جعفر فأصيب، وقُتل شهيداً، غفر الله له.

ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وقُتل شهيداً، وعيناه تذرفان غفر الله له.

وما يسرنى ولا يسرهم أنهم عندنا.

ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله.. خالد بن الوليد، من غير إمرة ففتح الله له ورفع رسول الله وهو قائم على منبره يده، مشيراً بأصبعه بعلامة التوحيد ودعا:

اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت الذى تنصره

أيها الناس اخرجوا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلف منكم أحد يقدر على الخروج

وعلم الناس أن إخوانهم لم يفروا، ولم يُهزموا كما زعم المنافقون، وأنهم لا يزالون يقاتلون. فأخذ كل من يقدر على الخروج للقتال، يتجهز ويستعد لمساعدة إخوانه المقاتلين.

۞ ۞ ۞

وأصبح رسول الله يطيل الجلوس فى المسجد بين الصلوات، مطرقاً حزيناً يتدبر أمر أمته، وينتظر من يأتى إليه بخبر عودة الجيش ونجاته من الروم.

وبينا كان جالساً، جاء رجل من آل جعفر بن أبى طالب فقال له: إن نساء جعفر يكثرن من البكاء والعويل، قد أتعبننا وفتننا بكلامهن وولولتهن.

فقال رسول الله: **ارجع إليهن فانهاهن عن البكاء وأسكتهن.**

فذهب الرجل، ثم أتى فقال: قد نهيتهن فلم يطعننى.

فقال له رسول الله، وقد أفصح صوته عن الضيق، وبدا على وجهه النفور من تكلف الرجل: **اذهب فانهن.**

«**فذهب الرجل، ثم أتى فقال: قد نهيتهن فلم يطعننى. والله يا رسول الله قد غلبننى**

فقال له رسول الله: **فاذهب فأسكتهن. فإن أبين فاحث فى وجوههن التراب.**

وكانت عائشة تراقب الحوار من صير (شق أو فتحة) الباب، فضايقها تكلف الرجل، وإلحاحه السخيف، وغفلته وعدم مبالاته بما يعانى رسول الله من حزن وهم.

وقد عرفت عائشة بلا شك أن الرجل لا يقدر على أن يحثى التراب فى أفواه امرأة جعفر ونسائه. فقالت فى نفسها، مخاطبة الرجل فى سرها: أبعدك الله وأرغم أنفك، فوالله ما أنت فاعل لتطيع رسول الله، وما تركت نفسك من العناء. وظلت تقول بعد ذلك كلما ذكرت هذه القصة كم أضر التكلف أهله، وقد نهانا خير الناس عن التكلف.

وكانت عمرة أخت عبد الله بن رواحة قد أخذت تنتحب وتولول، عندما أُغمى عليه ذات يوم - من قبل - وظنت أنه مات. ظلت تعدد عليه وهى تقول: واجبلاه، واعضداه، واعزاه واظهراه.

ويومها دخل عليه رسول الله ليعوده، فأمسكت عمرة لسانها. وقال رسول الله داعياً: **اللهم إن كان أجله قد حضر فيسره عليه وإلا فاشفه.**

وخرج رسول الله من عنده ووجد عبدالله بن رواحة فى نفسه خفة.

فلما أفاق قال لأخته: ما قلت شيئاً إلا قيل لى أنت كذلك؟! أنت جبلها؟! أنت عزها؟! أنت عضدها؟! أنت ظهرها؟! وفى يد الملك مرزبة من حديد، قد رفعها، فلو قُلتُ: نعم، لقمعنى بها.

فلما قُتل عبد الله بن رواحة شهيداً، وجاء نعيه إلى أخته عمرة لم تبك عليه.

وكان يَعْلى بن أمية الذى يعود بأصله إلى بنى تميم من أهل نجد، ويعد أحد سادة مكة المرموقين، إذ هاجرت أسرته قديماً منذ عشرات السنين، إلى أم القرى وحالفت نوفل بن عبد مناف، أخو هاشم بن عبد مناف، الذى كان سيد مكة، وأورث السيادة إلى ابنه عبد المطلب، جد محمد الذى خرج بدعوته إلى الناس بأنه رسول الله. وصاهرت أسرة يعلى بن أمية التميمية كبار عائلات مكة.

وأصبح يعلى شديد الاهتمام بمعرفة حقيقة محمد. هل هو نبى صادق يكلمه الله حقاً، من وراء حجاب من فوق السماء؟ أم هو شاعر حكيم سحر الناس بعظيم بلاغته؟

وتأمل يعلى فى سير الأحداث منذ خرج محمد بدعوته إلى الناس، فرأى أنها تشى بصدقه. وانتهز فرصة الصلح الذى عقده محمد مع قريش فى الحديبية؛ فكان يكثر من السفر إلى يثرب (المدينة) ليكون قريباً من محمد،ويراقب عن كثب أقواله وأفعاله؛ ليجيب بوضوح عن السؤال الذى يشغل قلبه ويحير فؤاده.

وعندما ندب محمد أصحابه إلى السفر للشام، لقتال من قتل سفيره، فإن يعلى بن أمية قرر السفر مع المسلمين، ليراقب القتال ويشهد هل ستصدق نبوءة محمد، الذى أشار إلى مقتل أمرائه الثلاثة على التوالى، قبل

أن يخرج الجيش للقتال. وجاءت المعركة بصدق محمد؛ إذ توالى قتل الأمراء الثلاثة بنفس الترتيب الذى نطق به محمد.

وخلال مراقبته سير القتال شعر يعلى بن أمية – بعمق – أنه ينتمى إلى هؤلاء العرب المسلمين، الذين يقاتلون الروم ويكابدون ويلات الحرب، ضد قوة تبلغ أضعاف أضعاف قوتهم. وأراد الانتصار لهؤلاء العرب المسلمين الذين شعر أنهم إخوانه. ولم يجد سبيلاً إلى مساعدتهم إِلاَّ بالانطلاق إلى رسول الله فى المدينة المنورة؛ ليخبره بما حدث فى المعركة، ويطلب منه المدد لإخوانه المقاتلين فى مؤتة.

وأسرع يعلى بالمسير إلى رسول الله. كان يواصل السير بالليل والنهار. يود لو أنه استطاع أن يطير حتى يمثل بين يدى رسول الله، قبل فوات الأوان.

وعندما وصل إلى المدينة سأل عن رسول الله، فوجده يجلس فى المسجد. فأسرع بالذهاب إليه.

فبادره نبى الله بقوله: **إن شئت أخبرنى، وإن شئت أخبرك بخبرهم.**

فأخذت الدهشة بقلب يعلى، وأراد أن يتقين من نبوة محمد، فقال: بل أخبرنى أنت يا رسول الله. فأخذ رسول الله يقص على يعلى ما حدث فى ساحة القتال بمؤتة، كأنه كان حاضراً يشهد ما يدور على أرض المعركة.

وازدادت دهشة يعلى، وثبت الإيمان فى قلبه، فقال: والذى بعثك بالحق، ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره، وإن خبرهم قد وقع كما ذكرت.

فأراد رسول الله أن يقوى الإيمان فى قلبه فقال له: **إن الله رفع لى الأرض حتى رأيت معتركهم، ولم أُسر وأترك حزنى، إِلاَّ لما رأيتهم فى المنام على سرر من ذهب، إخوانا متقابلين فى جنات النعيم.**

وأمهل رسول الله أسماء بنت عميس وآل جعفر بضعة أيام. ثم أتاهم فقال لهم: **لا تبكوا على أخى بعد اليوم.**

ثم قال: **ائتونى ببنى أخى.** فذهبت أسماء فجاءت بمحمد وعبد الله ابنا جعفر. فرآهما كفرخين لذلك الطائر السماوى، وأخذ يمسح على رأسيهما، وقال لعبد الله بن جعفر: **هنيئاً لك. أبوك يطير مع الملائكة فى السماء.**

ثم قال: **أما محمد فشبيه جده عمنا أبى طالب، وأما عبد الله فشبيه خَلْقى وخُلُقى** وكان رسول الله قد قال من قبل لجعفر بن أبى طالب **أشبهت خَلْقى وخُلُقى.**

ثم دعا الحلاق ليحلق لهما شعر رأسيهما ثم قال: **اللهم ارحمهما وبارك فيهما.**

وقال لأسماء بنت عميس: **تسلبى ثلاثاً، ثم اصنعى ما شئت.**

وبعد أن مضت ثلاث ليال، بعث إليها من يقول لها: يقول لك رسول الله تطهرى واكتحلى[٦].

۞ ۞ ۞

ومكث الروم وحلفاؤهم يتريثون قبل أن يبادروا بالهجوم. ووجدها خالد بن الوليد فرصة سانحة ليبدأ انسحاباً منظماً من ميدان المعركة يحافظ به على جيشه.

فأخذ المسلمون يتأخرون خطوة خطوة. وخشى الروم وحلفاؤهم أن يكون هذا التأخر مناورة، يستدرج بها المسلمون جيشهم إلى كمين؛ فأسرعوا بالرجوع إلى معسكراتهم ليتدبروا أمرهم.

وانتهز خالد بن الوليد ظلام الليل، وأسرع بالانسحاب بجيشه قدر المستطاع، حتى أصبح بعيداً عن متناول الأعداء، الذين مكثوا يفكرون فى الخطوة القادمة، بينما كان جيش المسلمين يسرع السير إلى الجنوب فى الطريق إلى المدينة المنورة.

وعندما توغلوا فى وادى القرى، وأوشكوا على الخروج منه، اتجهوا إلى القرية الصغيرة التى قتل رجالها أحد المسلمين، وهم فى طريقهم إلى الشام، فحاصروا الحصن حتى فتحوه عنوة، وقتلوا من استطاعوا من مقاتلى العدو، وأسروا من قدروا على الامساك به، وأخذوا ما طالته أيديهم من الغنائم.

واطمأن خالد بن الوليد إلى أن جيشه قد أصبح بعيداً عن تناول الروم وحلفائهم، الذين خافوا ويئسوا من مطاردة المسلمين؛ خشية أن

يقعوا فى كمين.

فتوقف وأخذ فى قسم الغنائم على جنوده، وكانت بالطبع قليلة. وكان حكم رسول الله أن الجندى الذى يقتل عدوه يأخذ سلبه.

فنظر خالد بن الوليد إلى الفرس الأبيض، والسرج الذهبى والسيف ذى المقبض المطلى بالذهب، واستكثر كل هذا السلب على الرجل اليمنى، الذى صاحب عوف بن مالك فى القتال، فأخذ كل هذه الأشياء ورفض أن يعطيها للرجل اليمنى.

فاعترض عوف بن مالك على خالد بن الوليد، وذهب إليه وقال له: أَمَا علمت يا خالد أن رسول الله قضى بالسلب للقاتل؟!

قال خالد: بلى علمت ولكنى استكثرته. فقال عوف: لتردن إلى الرجل سلبه أو لأخبرن رسول الله بها، لتعلمن حكمه. فأصر خالد على رأيه وأبى أن يرد السلب على الرجل اليمنى.

وخاف خزيمة بن ثابت على ياقوتته الحمراء، فأخفاها ولم يظهرها لخالد.

واقترب خالد بالجيش من المدينة المنورة، فأرسل مَنْ يبشر رسول الله بعودة الجنود سالمين.

۞ ۞ ۞

وعندما بدت المدينة المنورة عند الأفق، شعر أغلب الجنود - الذين تخاذلوا فى أول القتال ولاذوا بالفرار - بالعار؛ فأصروا على يمكثوا حتى ينزل ظلام الليل، فيدخلوا المدينة المنورة فرادى، يسترهم الليل بظلامه؛ فلا يراهم أو يحس بهم أحد إلا أهل بيوتهم.

ولم يدخل فى وضح النهار إلا خالد بن الوليد، وقليل من المقاتلين الذين ثبتوا ولم يفروا. إنه كقائد عسكرى محترف يعلم تماماً أنه قد أدى عملاً رائعاً.

وخرج رسول الله لاستقبالهم مع جمع من كبار أصحابه عند ثنية الوداع.

بوغت الجنود العائدون من ساحة القتال، بعد كل ما عانوا من ويلات الحرب بالناس يحثون عليهم التراب ويعيرونهم: يا فرار فررتم من سبيل الله، يا فرار فررتم من سبيل الله.

فَعَلا صوت الرسول ليسكت هؤلاء الغوغاء: **إنهم ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله.**

واجتمع العائدون عند رسول الله، فأسرع عوف بن مالك مع الرجل اليمنى، فقص عوف على رسول الله قصة الرجل اليمنى وسلبه.

فقال رسول الله لخالد بن الوليد: **ما صنعت؟**

يسأله عن السبب فى امتناعه عن إعطاء الرجل سلبه.

فقال خالد بصراحة: استكثرته.

فقال رسول الله له: **رد عليه ما أخذت منه.** فأسرع عوف بن مالك إلى خالد بن الوليد، فجر رداءه، وقال يغيظه: هل أنجزت لك ما وعدتك به؟!

فسمعه رسول الله ورأى ما فعله مع خالد؛ فغضب وسأل عن السبب قائلاً لعوف بن مالك: **وما ذاك؟**

فقص عوف على رسول الله القصة كاملة. فقال رسول الله بصوت حاسم: **يا خالد لا تعط الرجل شيئاً لا تعطه يا خالد.**

وتوجه إلى عوف بن مالك وكل الحاضرين بقوله: **هل أنتم تاركوا لى أمرائى؟**

إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً فرعاها، ثم تحين سقيها فأوردها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوه، وتركت كدره. فلكم صفوة أمرهم وعليهم كدره[٧] **وقال: لا تؤذوا خالداً؛ فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار.**

فأخرج خزيمة بن ثابت الياقوتة الحمراء، وأظهرها لرسول الله، فوهبها له وظل محتفظاً بها حتى زمن خلافة عثمان بن عفان، فباعها بمائة دينار واشترى بها حديقة نخل.

أما بقية الجنود الذين كانوا قد تخاذلوا وفروا فى أول القتال، فإنهم خجلوا من الخروج إلى الناس، حتى أنهم اعتزلوا فى بيوتهم، وصاروا لا يحضرون الصلاة فى المسجد.

قالت أم سلمة - زوج رسول الله - لإحدى النساء: مالى لا أرى زوجك يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين فى المسجد؟

فقالت المرأة: والله ما يستطيع أن يخرج؛ فإنه كلما خرج صاح به الناس: يا فرار فررتم من سبيل الله.. حتى قعد فى بيته ما يستطيع الخروج.

ولكن هؤلاء الفارون المعتزلون ضاق بهم الحال فقالوا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله فاعتذرنا إليه. فإن كانت لنا توبة، وإلا ذهبنا فنفينا أنفسنا بعيداً عن المدينة.

وجمعوا أنفسهم واستجمعوا أشتات شجاعتهم وصدقهم، وذهبوا إليه فى السحر قبل صلاة الفجر فطرقوا بابه. فاستغرب أن يطرق الناس بابه فى هذا الوقت من الليل، فخرج إليهم، ووجوههم لا تكاد تبين فى

الظلام فقال: **من القوم؟**

فقال عبد الله بن عمر بن الخطاب متحدثاً بلسانهم: نحن الفرارون.

فقال مطمئناً لهم: **بل أنتم العكارون (العائدون إلى الكر) وأنا فئتكم، وفئة كل مسلم.**

فتقدموا إليه وانحنوا يقبلون يده وهم يبكون[٨].

هوامش الرواية

(١) **يشرى نفسه:** يبيع نفسه. والمقصود يضحى بنفسه (بحياته) مستعداً للقتل فى الحرب من أجل إعلاء كلمة (رسالة) الله.

ابتغاء مرضاة الله: طلباً للحصول على رضى الله (ﷻ) والمقصود دخول الجنة التى ينعم فيها الإنسان برضى الله (ﷻ) عنه.

ههنا: نحن بإزاء صفقة يبيع فيها الإنسان نفسه، مضحيا بحياته الدنيا، ويشترى رضى الله بدخول الجنة. وهو المعنى الذى ذكره الله (ﷻ) واضحاً فى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾: طلب من المؤمنين أن يمنحوه أنفسهم وأموالهم والمقصود أمرهم أن يضحوا بحياتهم الدنيا، وأن يبذلوا أموالهم من أجل نصرة دينه الإسلام. وشراء الأنفس معناه أن الله (ﷻ) يقرب أنفس المؤمنين إليه، ويحتفظ بها ويحفظها معه فى جناته.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: فى مقابل أن يمنحهم (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) الجنة التى يتمتعون فيها برحمته وينعمون برضاه عنهم. وكيف وأين ومتى يحدث هذا البيع، أعنى تتحقق هذه الصفقة (المبادلة)؟ والإجابة بالقتال من أجل الدفاع عن الإسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده ولذلك قال بيانا لميدان تحقيق الصفقة: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

يحاربون من أجل الدفاع عن الإسلام، وتسفر الحرب عن قتلهم لأعداء دين الله، وقتل أعداء دين الله لهم.

ولكن الحصول على الجنة - وهو الثمن المطلوب دفعه - مقابل البيع، لن يحصل عليه الإنسان فى حياته الدنيا، بل فى الآخرة بعد الموت. ومن ثم فهو يظل وعداً، مجرد وعد لن يتحقق للإنسان مادام حياً فى هذا الجسد فى هذه الحياة الدنيا؛ ولذلك طمأن المؤمنين على تحقيق ما وعد به (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ). بقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾. والمقصود أن حصول المؤمنين على الجنة؛ إذ بذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله، كان وعداً إلهياً ألزم الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) نفسه به؛ فمن المحتوم أن يكون حقاً أى: مشهوداً دون أدنى شك؛ وقد أعلنه الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) فى التوراة التى أنزلها إلى كليمه موسى عليه السلام والإنجيل الذى أنزله إلى كلمته ومسيحه عيسى بن مريم عليه السلام والقرآن الذى أنزله على نبيه الأمى محمد ﷺ.

لقد أعلن الله (ﷻ)عن وعده للمؤمنين فى كل رسالاته إلى أنبيائه، ومن ثم فقد ألزم به نفسه (ﷻ) ولابد إذن من أن يفى به.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾: فلا شك فى أن الله (ﷻ) هو أوفى الأوفياء بما عاهد عليه؛ لأنه - جل فى علاه - صادق لا يكذب، قادر مقتدر لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾: فانتظروا - يا أيها المؤمنون - أن تظفروا بما يسركم بموجب ما بعتم من أنفسكم وأموالكم إلى ربكم الذى عقدتم معه البيعة (الصفقة) التى ستحصلون بها على الخلود فى الجنة ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذى من المحال أن يُقارن به أى فوز دنيوى.

﴿رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: يحب إزالة الألم عنهم. والرأفة أرق مظاهر الرحمة، وتعنى حب إزالة الألم عن الآخرين.

۞ ۞ ۞

(٢) انظر نص الخطبة النبوية فى كتاب «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» - الجزء السادس: ص ٢٣١. فى هذه الخطبة (الموعظة) النبوية تتبين لنا شريعة القتال فى سبيل الله (الجهاد) أعنى القواعد العامة الضابطة للجهاد (القتال) أَلاَ وهى:

١- لا يُشرع القتال إلا للدفاع عن المسلمين ضد عدوان غيرهم عليهم، وعن حق المسلمين وواجبهم فى دعوة الناس إلى الدخول فى الإسلام؛ فإن المسلمين هم حملة رسالة الله (ﷻ) إلى الناس. فكما رأينا كانت غزوة (سرية) مؤتة لقتال من قتل مبعوث رسول الله ﷺ، الذى حمل رسالته إلى ملك الغساسنة، ومن وراءهم من الروم (الإمبراطورية البيزنطية) فإن رسول الله ﷺ لم يبدأ بالقتال، بل بدأ بالدعوة السلمية للدخول فى الإسلام.

٢- القتال فى سبيل الله يُوجه إلى الذين اعتدوا على المسلمين، وحالوا بينهم وبين قيامهم بالدعوة إلى الله. ولذلك وصف رسول الله ﷺ من خرج المسلمون من أجل قتالهم بالأعداء فقال: «**اغزوا باسم الله عدو الله وعدوكم**» وقال «**وإذا لقيتم عدوكم**» ولا يقال عدو إلا لمن حارب.

ولذلك نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن قتال: الرهبان فى الأديرة الذين اعتزلوا الناس؛ ومن ثم فإنهم لا يشتركون فى القتال (أعمال الحرب) والأطفال والنساء والشيوخ العجزة.

* **والخلاصة:** القتال لمن قاتل.

٣- الامتناع عن التخريب وتدمير مظاهر الحياة دون داع.

٤- على المسلمين أن يبدأوا بدعوة الأعداء إلى الدخول فى الإسلام، أعنى الانضمام إلى جماعة المسلمين؛ من أجل إحلال السلام، والقضاء على أسباب الحرب.

فإن قبل الأعداء هذا العرض، فقد ماتت الحرب وساد السلام.

وفى هذه الحالة يُعرض عليهم «الهجرة» من أجل الانضمام إلى الدولة (السلطة السياسية) الإسلامية؛ فيصيروا مواطنين فى الدولة الإسلامية، على قدم المساواة مع سائر المواطنين (المسلمين) فى الحقوق والواجبات.

فإن رفضوا الهجرة وفضلوا البقاء فى مواطنهم، فإن أحكام الإسلام تجرى عليهم شأنهم فى ذلك شأن سائر المسلمين، ولكن ليس لهم الحق فى نصيب من ثمرات القتال، إِلاَّ أن يشتركوا فى القتال مع المسلمين.

وعلينا أن ننتبه هنا إلى أن الأمر بالهجرة قد زال (نُسخ) بفتح مكة (لا هجرة بعد الفتح)، وأن قسمة الغنائم والفئ قد انتهت فى العصر الحاضر؛ لأن قوانين الحرب التى تسود فى أيامنا هذه غير تلك التى كانت سائدة فى عصر تنزيل الرسالة الإلهية (القرآن الكريم). ومن ثم فإن الأحكام الواردة فى كلام رسول الله ﷺ فى هذه الفقرات من خطبته قد نُسخت ولم تعد صالحة مع الحياة المعاصرة؛ لأنها كانت تتعلق بظروف الحرب فى ذلك العصر الذى أسس فيه رسول الله دولته.

٥- فإن أبى الأعداء الدخول فى الإسلام، ورأوا أن يبقوا على ديانتهم (عقيدتهم) المخالفة للإسلام، فعلى المسلمين أن يقبلوا هذا الاختيار، ويطلبوا منهم الانضمام إلى الدولة (السلطة السياسية) الإسلامية وعلامة قبول الحكم الإسلامى هى دفع الجزية، التى تعنى «ضريبة الحماية» التى يدفعها المواطن للدولة (السلطة السياسية) مقابل حمايته والدفاع عن حياته، وليس من أجل إجباره على الدخول فى الإسلام، وأن على المسلمين - بنص حديث رسول الله ﷺ - أن يقبلوا هذا «**فإن هم أبوا** - يعنى الدخول فى الإسلام - **فسلوهم الجزية فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم**».

والمقصود ليس للمسلمين أن يظلموا أو يضايقوا من بقى على كفره، ما دام قد قبل أن يدخل كمواطن فى الدولة الإسلامية. وإذا اشترك المواطن الكافر دافع الجزية فى القتال، أعنى إذا انضم إلى الجيش، كما يحدث الآن فى الدول المعاصرة، سقطت عنه الجزية؛ لأنها - كما قلنا - «ضريبة الحماية» التى تسبغها الدولة الإسلامية على مواطنيها غير المسلمين.

وعلينا أن ننتبه وننبه - هنا - على أن هذا الحكم (طلب الجزية) ذو طبيعة دنيوية (زمنية) مؤقتة، فهو يخص ذلك الزمن الذى شهد تنزيل الرسالة الإلهية وبناء «الدولة الإسلامية» الأولى التى أُمر رسول الله ﷺ

بتأسيسها، من أجل تثبيت وتمكين دين الله (ﷻ) فى الأرض.

أما الآن - فى الدول المعاصرة - حيث يشترك أبناء الديانات المختلفة فى جيوشها فلا محل للأمر بالجزية؛ لأن غير المسلمين يشاركون فى الدفاع عن أوطانهم مع إخوانهم المسلمين.

والمقصود إن الأمر بالجزية لم يكن إلا لإثبات صدق النية فى حسن الجوار، والامتناع عن الاعتداء على المسلمين.

ومن ثم فإن الغاية الشرعية، أعنى غاية الشريعة هى إحلال السلام، وإقامة علاقة حسن الجوار بين المسلمين وغيرهم. بدليل أن رسول الله ﷺ فى نهاية خطبته إلى المقاتلين أباح لهم أن يعقدوا معاهدات أو اتفاقات مع أعدائهم، الذين خرجوا لقتالهم، دون أن يشترط الأمر بالجزية فى تلك المعاهدات.

٦- فإن أبى الأعداء إلا القتال؛ فلم يريدوا الدخول فى الإسلام كديانة، أو دفع الجزية كمواطنين غير مسلمين تحت سلطة الدولة الإسلامية، أو عقد عهد (اتفاق) حسن جوار وامتناع عن العدوان.. فى هذه الحالة لا سبيل إلى تجنب القتال «**فاستعينوا بالله وقاتلوهم**».

٧- وعلينا أن ننتبه وننبه هنا على أن رسول الله ﷺ أباح أن ينتهى القتال بعد الحصار إلى عقد معاهدة أو اتفاق صلح، ونبه قلوب المسلمين

على أنهم لا يتكلمون – فى معاهداتهم مع غير المسلمين – باسم الله (ﷻ) وباسم رسوله ﷺ وإنما يتحدثون باسم أنفسهم وأقوامهم (آبائهم). ومن ثم فإن شروط (بنود) المعاهدات تتوقف وتتوافق مع النتائج التى أسفر عنها القتال (الحرب).

وهى النتائج التى تعتمد أساساً على ميزان القوى بين الطرفين.

* **والخلاصة:** إنها معاهدات دنيوية بشرية بين قوى إنسانية متصارعة، وليس بين الله (ﷻ) ورسوله ﷺ على جانب، وقوم آخرين من غير المسلمين على الجانب الآخر. ومن ثم فإن تلك المعاهدات يمكن تغييرها والخروج من التزاماتها حسب مقتضيات الواقع (الظرف) التاريخى المتغير.

ولا نحتاج إلى بيان أن هذا الفهم لا يعنى ولا يبيح فى حال من الأحوال أن يتفق المسلمون مع غيرهم على شروط أو بنود تخالف العقيدة والشريعة الإسلامية، مع ضرورة بيان أن الشريعة الإسلامية تعنى مجموعة القواعد (المبادئ) العامة التى تضبط العلاقات بين الناس فى هذه الحياة الدنيا، والتى يمكن استنباطها من نصوص آيات القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ. ولا تعنى الشريعة بحال من الأحوال الأحكام الفقهية أو الفتاوى التى أصدرها علماء النصوص الدينية فى ظروف

تاريخية، لمعالجة قضايا نشبت فى سياق تلك الظروف التاريخية. ولا شك فى أن تنزيل الشريعة الإسلامية (القواعد العامة) على قضايا الظروف التاريخية المتغيرة هى جوهر ومضمون الاجتهاد. أما الاكتفاء بترديد النصوص التى نطق بها العلماء فى أحداث تاريخية معينة - دون العلم بالظروف التاريخية التى عاشوا فيها وفهم الأسباب التى دعت العلماء إلى إصدار تلك الحكام والفتاوى - فإنه ليس إلا نوعاً من عبادة الأسلاف التى نهانا القرآن الكريم عنها، وشدد فى هذا النهى وبين - ببلاغة منقطعة النظير - أن اتباع الأباء دون علم هو أعرق الضلالات البشرية.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

۞ ۞ ۞

(٣) نص الحديث النبوى الذى تناثرت أطرافه فى عشرات الروايات التى أوردها أو أشار إليها الإمام ابن حجر فى شرحه للأحاديث: ٢٧٩٢، ٢٧٩٣، ٢٧٩٤، ٢٧٩٦، ٢٨١٧، ٢٨٩٢، ٣٢٥٠، ٣٢٥٣، ٦٤١٥، ٦٥٦٨ فى كتاب «فتح البارى بشرح صحيح البخارى»

(٤) يخاطب الشاعر الفارس عبد الله بن رواحة نفسه، وهو يهيئها للنزول للقتال والرضى بالقتل فى سبيل الله. والضمير فى قوله (ﷺ): «لتنزلنه» يشير إلى ميدان القتال.

أَجْلَب: تزاحم وأحدث ضوضاء.

شدوا الرنة: علا صوتهم المعبر عن حزنهم وتفجعهم. وهو العويل الذى يشبه ترديد البكاء والصراخ.

والمعنى: إننى أقسمت لأنزل ساحة اقتال، سواء رضيت يا نفسى أو كنت مُكْرهة غير مختارة عندما يتزاحم الناس ويحدثون ضوضاء شديدة عند احتشادهم، ويعلو عويلهم عند نزول المصيبة.

ويلوم نفسه: مالى أراك تكرهين الجنة، وقد علمت علم اليقين أن السبيل إليها هو القتل فى سبيل الله، وقد مر عَليكِ زمن طويل كنت فيه آمنة مطمئنة. ويهون على نفسه مصيبة الموت فيقول لنفسه: هل أَنتِ إلا قطرة ماء بالغة الصغر (نطفة) وضعت فى جسد ضعيف قابل للهلاك فهو مثل شنة. والشنة هى وعاء الماء (السقاء) المتهالك القابل للاختراق فيسقط ما فيه من الماء.

ثم يعبر عن أن مصيره - لا محالة - هو الموت سواء كان بالقتل فى سبيل الله أو بالوفاة.

وحِمَام الموت هو قَدَرُ الموت المحتوم الذى لا فرار منه. والمقصود: لقد اقترب قدر الموت المحتوم؛ ولذلك أشار إليه بلفظ «هذا» وأن نفسه ستعانى ذَوْقَه يقيناً، فَلِمَ التردد وخداع النفس بتمنى الهروب؟!

ويذكر نفسه أنه قد تمنى القتل فى سبيل الله من قبل، وهاهى الأمنية قد صارت قريبة فى متناول اليد، فلم التلكؤ والتقاعس؟!

ويوصى نفسه بالإقتداء بصاحبيه اللذين سبقاه على طريق الشهادة: زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب، لأنهما قد سارا على طريق الهداية.

(٥) لعل هذه الرؤيا الرائعة العجيبة توضح لنا بجلاء تام معنى رحلة الإسراء والمعراج؛ فإن النبى ﷺ لم يكن فى حاجة إلى أن ينتقل بجسده من فوق سريره فى بيته الكائن فى المدينة المنورة؛ لكى يدخل بجسده إلى الجنة؛ ليرى فيها أصحابه الشهداء وهم يتمتعون بالحياة فى جنات النعيم فى هذه الدنيا. بالضبط كما لم يكن فى حاجة إلى أن يسافر بجسده من الكعبة (المسجد الحرام) فى مكة، إلى موضع المسجد الأقصى فى مدينة القدس بفلسطين فى رحلة الإسراء، ومن هناك إلى السموات السبع فى رحلة المعراج؛ فإن الجسد - الذى هو كتلة الطين المأخوذة من تراب الأرض - لا حاجة إليه فى السماوات. إلا إذا قلنا أن جسده قد

تحول إلى نور خالص. ومن ثم فقد فَقدَ معنى الجسد!!

ومن المؤكد أن أجساد الأمراء الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة قد دفُنت فى حفرة واحدة فى قرية مؤتة. ومن ثم فإن رسول الله ﷺ قد رأى أرواحهم على سرر من ذهب فى خيمات من در (لؤلؤ) فى جنات النعيم. وهذه الأجساد الشريفة للشهداء لن تغادر حفرة القبر فى قرية مؤتة إلا عندما تقوم الساعة ويبعث الله مَنْ فى القبور.

وكذلك، فإن نبى الله ﷺ قد صلى بأرواح الأنبياء فى نهاية رحلة الإسراء بالمسجد الأقصى فى مدينة القدس بفلسطين، أما أجساد الأنبياء فإنها لم تغادر قبورهم منذ أن دفنوا فيها عندما ماتوا موتتهم الأولى. ولم تزل هنالك فى القبور حتى تقوم الساعة.

أما إدعاء بعض أدعياء العلم من كُتَّاب التراث الإسلامى بأن الله – جل فى علاه – قد بعث الأنبياء من قبورهم وجمعهم لنبيه ﷺ ليصلى بهم إماماً فى ختام رحلة الإسراء، فإنه مجرد تفكير صبيانى أو عبث أطفال لا يليق برجال يوصفون بالعلماء. بالإضافة إلى أنه لا يفسر معنى رؤية النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء فى السموات، كل فى مقام معلوم، بعد أن صلى بهم إماماً فى المسجد الأقصى بمدينة القدس.

والخلاصة: إن آية الإسراء والمعراج، كانت مثل رؤيا النبى ﷺ لأصحابه الشهداء فى الجنة، رحلة روحية قام بها الروح فى عِلْم الغيب الإلهى. ومن ثم فإنها كانت وحياً إلهيا مرئياً، أعنى فى هيئة صور، كما كان القرآن الكريم وحياً آلهيا فى صورة كلمات مسموعة، ينطق بها جبريل (عليه السلام) عند قراءته لنص القرآن المكتوب على نمط (بساط) من ديباج، تنزل به الملائكة حملة الوحى مكتوباً (مسجلاً) ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٤].

ولذلك صح أن «**رؤيا الأنبياء حق**» أى كلام إلهى يحمل علم الله (سبحانه وتعالى) فى هيئة صور مرئية إلى أنبيائه، ويطلعهم بها على غيب علمه. ولكن الأزمة الحقيقية أن عوام الناس، بما فيهم من يُسمون بعلماء الدين ينظرون إلى الرؤيا بصفة عامة ورؤيا الأنبياء، باعتبارها مجرد خيالات أعنى صور صنعها العقل البشرى.

ولا يؤمنون - فى الحقيقة - إلا بما تدركه حواسهم الجسمية. ومن ثم فإنهم ينطلقون من نفس المنطق الجسدى الذى بعث الكفار المشركين على إنكار الإسراء والمعراج.

لقد خرج رسول الله ﷺ صبيحة ليلة الإسراء والمعرج، فقال للملأ من كفار قريش وهم يجلسون بين يدى الكعبة: «**لقد أُسرى بى الليلة من**

المسجد الحرام إلى بيت المقدس» (مدينة القدس أو إيلياء) فلم يَدعَوهُ يكمل حديثه واعترضوا عليه قائلين: كيف تزعم أنك ذهبت إلى بيت المقدس (القدس) وعدت فى نفس الليلة، يعنون: فى جزء من الليل، ونحن نقطع أكباد الإبل شهراً فى الذهاب إلى بيت المقدس، وشهراً فى الرواح (العودة).

إنهم ينطلقون من منطق الجسد الطينى (المادة) فيتكلمون عن السفر بالإبل، بينما كان نبى الله ﷺ يتكلم بمنطق الروح أى الكائن النورانى المحبوس فى قفص الطين الذى نسميه الجسد.

ولا يعلم الكفار المشركون (الوثنيون) غير منطق الجسد الطينى؛ لأنهم لو آمنوا باحتواء الإنسان على «سر إلهى» هو الروح، الذى يغادر الجسد عند الموت، ويبقى بعد فناء الجسد وتحوله إلى تراب، أقول لو آمنوا بذلك لكان حتماً مقضياً أن يؤمنوا بالحياة بعد الموت، والبعث من القبور، والقيام بين يدى الله للحساب ونيل الجزاء. ولكنهم يرفضون الإيمان بالروح الباقى بعد الموت ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقولهم: ﴿حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ يعنون به حياة الأجساد الطينية، التى تعود إلى التراب بعد الموت، ويتوهمون أنهم لن يبقى منهم بعد الموت شىء.

ولذلك أنكروا رحلة الإسراء والمعراج التى كانت رحلة الروح فى أرجاء الكون الحاوى لغيب علم الله (ﷻ).

إن نبى الله ﷺ لم يقل لكفار قريش: إن إسرائه ومعراجه كان بالجسد، وربما لم يخطر على فؤاده هذا السؤال العقيم، الذى سَوَّد فيه من يُسمون بالعلماء الآف الصفحات هل كان بالجسد أم بالروح؟!!

وعلينا أن ننتبه هنا إلى أن جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه قد أصبح بعد الموت «**ملكاً ذا جناحين**» والمعنى المقصود الإشارة إليه هو: إن أرواح المقربين تصبح بعد الموت ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (سورة فاطر من الآية الأولى).

وغنى عن البيان أن جعفراً لا يحيى منعزلاً بمفردة فى عالم خاص به وحده، بل هو واحد من المقربين.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]. انظر إلى قوله (ﷻ) «**رَفِيقاً**» وتأمل!! وندعو القارئ إلى قراءة كتابنا «حقيقة المعراج».

۞ ۞ ۞

(٦) قوله ﷺ: تَسَلَبى معناه: إلبسى السِلاب، وهى الثياب سوداء اللون التى تلبسها النساء عند الحداد على أمواتهن تعبيراً عن الحزن.

إذن، فقد أَذِنَ رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس - أرملة جعفر بن أبى طالب - بالحداد على زوجها لمدة بضعة ليالى فقط، وليس أربعة أشهر وعشر ليال كما يفهم من الآية ٢٣٤ من سورة البقرة، التى تقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: يراقبن أنفسهن ويمنعنهن عن التحرك نحو النكاح مرة أخرى حتى تمر فترة تقدر بأربعة أشهر وعشر ليال بعد موت أزواجهن.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: فإذا وصلن إلى نهاية هذه المدة المعلومة (أربعة أشهر وعشر ليال) فإنهن يصبحن لهن الحق فى النكاح من جديد. ومن ثم يصبح من حقهن التزين والتعرض للخطاب وأن يصنعن ما يشئن فى هذا السبيل، مادمن يلتزمن بحدود الشرع الإلهى، وهو المعروف أى العدل الذى أعلنه الله (سبحانه وتعالى) فى رسالته إلى خلقه.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ (إثم يستحق اللوم) ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر أولياء النساء

الأرامل ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب بشرط أن يكون عملهن محكوماً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الذى هو حكم الله (سبحانه وتعالى) الذى يحفظ حقوق الخلق.

واعلموا جميعاً – رجالاً ونساء – أن الله (سبحانه وتعالى) يسبق علمه بأعمالكم علمكم بها لأنه (سبحانه وتعالى) يعلمها قبل أن تباشروا القيام بها؛ فقد سبق له – جل فى علاه – أن سجلها فى كتاب علمه (اللوح المحفوظ) قبل خلقكم وخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقد فسر رسول الله ﷺ المقصود بالتربص بالنفس، الذى أُمرت به الأرملة بعد موت زوجها بقوله: «**لا يحل لأمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحد على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج فإنها تُحد عليه أربعة أشهر وعشراً.**

فإنها لا تكتحل، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عَصَب، ولا تمس طيباً (دهاناً أو عطراً طيب الرائحة) إِلاَّ إذا طهرت من محيضها نبذة من قسط أو أظفار»

سياق يجمع نص الحديث النبوى الذى تعددت رواياته وتناثرت أطرافه، وأورده الأستاذ/ محمد ناصر الدين الألبانى فى الحديثين:

٧٦٤٨، ٧٦٤٩ فى كتاب «صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير».

تُحِد: تعلن الحداد أى التعبير عن الحزن لفقد من مات. وقد بين مظاهر الحداد بقوله فى هذا الحديث وفى حديثه لأسماء بنت عميس وهى:

١-لبس السِلاب (الملابس السوداء اللون) والامتناع عن لبس الثياب الملونة المبالغ فى زينتها لجذب أنظار الرجال. واستثنى من الأثواب المصبوغة (الملونة والمزخرفة) ما سماه **ثوب عصب**، وهى ثياب كانت يُعصب (يربط ويُعقد) غَزْلها، ثم يُصبغ ثم تنسج مصبوغة، فتخرج موشاة، قد اختلطت ألوانها. وكانت هذه الأثواب تأتى فى زمن الرسول ﷺ من اليمن.

وبالطبع فإن المقصود الشرعى (الدينى) هو الامتناع عن لبس الأثواب المبالغ فى تزيينها، والتى تعبر عن رغبة جذب أنظار الرجال من أجل خطبة النساء. وهو ما يعنى بكلمات أخرى نهى النساء عن التزين وطلب الخطاب فى مدة الحداد، وهى أربعة اشهر وعشر ليال. فالمراد هو أن تكف النساء أنفسهن عن التطلع إلى الزواج من جديد قبل بلوغ الأجل (نهاية مدة الحداد)

وغنى عن البيان أن هذه الألفاظ المعبرة عن مظاهر العيش فى عصر رسول الله ﷺ ليست مقصودة لذاتها كأمر شرعى (دينى).

٢- الامتناع عن التكحل (الاكتحال).

٣- الامتناع عن التطيب، أى التعطر باستثناء شىء قليل (نبذة) من قُسط أو أظفار، وهما نوعان من البخور أو الروائح العطرية التى كانت موجودة فى زمن رسول الله ﷺ.

ومرة أخرى، كل هذه الألفاظ المعبرة عن أنماط الحياة الاجتماعية فى زمن رسول الله ليست مقصودة لذاتها كنصوص دينية (شرعية) تخاطب الإنسان فى كل زمان ومكان. ولكن المقصود الشرعى (الدينى) هو نهى الأرملة عن التهيؤ للنكاح قبل مرور أربعة أشهر وعشر ليال من موت زوجها وأمرها بالصبر وترويض النفس على الحرمان من النكاح فى هذه المدة المعلومة.

وقد قال رسول الله ﷺ هذا الحديث عندما جاءته امرأة تستأذنه فى أن تكحل ابنتها، التى توفى عنها زوجها؛ بحجة أن ابنتها الأرملة تشتكى عينها، أى أنها كانت تدعى أن ابنتها مريضة بعينيها، فهى تطلب الكحل - بزعمها - كعلاج لمرض العين، وليس على سبيل التزين لطلب الخطاب.

وكان رسول الله ﷺ يعلم أن المرأة كاذبة فى دعواها، وأنها - فى الحقيقة - تتعجل تزويج بنتها. ومن ثم فقد خشى رسول الله ﷺ أن تكون العجلة باعثاً على مخالفة أمر الله (ﷻ) بالتربص (الترقب والانتظار) لمدة أربعة أشهر وعشر ليال.

ولكنه ﷺ كان يعلم علم اليقين أن أسماء بنت عميس رضى الله عنها كانت من التقوى والورع على درجة تحصنها من مخالفة أمر الله جل جلاله؛ ولذلك أمرها بالحداد لمدة ثلاث ليال فقط، عندما ذهب إليها بعد استشهاد زوجها جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه، وأذن لها بعد ثلاث ليال أن تصنع ما تشاء (**ثم ابغى ما شئت**) بل أرسل إليها بعد مرور الليالى الثلاث من يأمرها بالتطهر والاكتحال.

«**يقول رسول الله لك تطهرى واكتحلى**».

وفى المقابل فإنه أصر على رفض طلب المرأة التى استأذنته فى اكتحال ابنتها الأرملة ثلاث مرات.

قالت المرأة: أفنكحلها؟

قال: **لا**

فأعادت الطلب: إنها تشتكى عينها؟

فأعاد الرفض قائلاً: لا

فأعادت الطلب وأعاد الرفض وفى النهاية قال لها: **إنما هى أربعة أشهر وعشر ليال وقد كانت أحداكن فى الجاهلية تمكث سنة.**

وبيان هذه الجملة الأخيرة حمله كلام زينب بنت أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، عندما قالت: إن الأرملة فى الجاهلية كان يُحكم عليها أن تدخل حَفْشاً أى بيتاً صغيراً جداً ضيقاً، من بيوت الأعراب يشبه حظيرة الأغنام أو عش الطيور الداجنة فتكمث فيه سنة، لا تخرج منه، وتلبس أسوا ملابسها ولا تغتسل ولا تتطهر ويلقون إليها الطعام كما يلقون الطعام إلى الأغنام. ومن ثم فإنها كانت تبلغ من القذارة والنتن حداً لا يُحتمل.

ويُستخلص مما تقدم أن الأمر بالتربص أربعة أشهر وعشر ليال لا يعنى أكثر من نهى الأرملة عن الزواج قبل بلوغ نهاية هذه المدة.

ومن ثم فإن الإحداد الذى يعنى التعبير عن الحزن بلبس الملابس السوداء اللون أو غير المبالغ فى تزيينها، والامتناع عن التكحل والتزين والتطيب، وكل ما يغرى الرجال بطلب النكاح، المقصود منه مساعدة المرأة على التربص بنفسها، وإعلام الرجال بأن هذه الأرملة محرم الزواج منها إلا بعد بلوغ الأجل. ومظاهر الحداد أمر متروك للأعراف الاجتماعية التى تختلف من زمن لآخر ومن مكان لأخر.

ولكن فقهاءنا السابقين – غفر الله لهم ولنا – انساقوا كعادتهم فى

مناقشة التفاصيل المعيشية (الدنيوية) التى جاءت بها نصوص الأحاديث النبوية، وفرعوا القضايا، واختلفوا حول أنواع الثياب التى يُباح للأرملة فى فترة الحداد أن تلبسها، وما يجوز لها وما لا يجوز، وغرقوا فى تفاصيل لا معنى لها؛ لأنهم غفلوا عن المقصود الدينى (الشرعى) المخاطب به الإنسان فى كل زمان ومكان.

ونستخلص مما تقدم أن الإسلام عقيدة تدعو إلى الإقبال على الحياة، والرضى بقضاء الله، وأن الافراط والتكلف البغيض فى إظهار الحزن على من مات، إنما هو - فى الحقيقة - صورة من صور الكذب على النفس وعلى الآخرين، وصورة من صور الاعتراض على قضاء الله. ولذلك نصح رسول الله ﷺ أسماء بنت عميس رضى الله عنها رغم وفاة زوجها بالحداد لمدة بضعة أيام فقط؛ لأنه ﷺ أحب أن يخرجها من الحزن والأسف على ما فات، راضية بقضاء الله جل جلاله، مقبلة على التمتع بنعمه فى الحياة الدنيا شاكرة ممتنة؛ لثقته ﷺ فى تقواها وورعها.

فالعبرة بما فى القلب، لا بما على الجسم أو ينطق به اللسان. ولذلك نرى أن المبالغة والتزيد فى إظهار الحزن على الميت الذى تفرضه مجتمعاتنا العربية والإسلامية على النساء خاصة، يعد من بقايا الجاهلية التى لم تزل تعيش فى حياتنا.

(٧) سياق يجمع نص الحديث النبوى الذى أورده الأستاذ / محمد ناصر الدين الألبانى فى كتاب صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير تحت الرقمين ٧٠٢٤، ٧٠٢٥.

ولقد ظن الفقهاء السابقون أن ثمة تضارب بين أمر رسول الله ﷺ لخالد بأن يعطى الرجل سلبه الذى أخذه من قتيله، ثم أمره لخالد بالأ يعطى الرجل شيئاً، متوهمين أن ثمة تضارب قد وقع بين أمرين شرعيين (دينيين) صدرا عن رسول الله ﷺ فى نفس القضية. والحقيقة أن الحكم بأن للمقاتل المسلم أن يأخذ السلب الذى انتزعه من قتيله فى الحرب، هو مجرد أمر دنيوى صدر من رسول الله ﷺ باعتباره رئيس دولة وقائداً عسكرياً، أراد أن يشجع جنوده على الإقدام والاستبسال فى مقاتلة الأعداء؛ فوعدهم بجائزة دنيوية عاجلة. أَلاَّ وهى أن المقاتل الذى يتمكن من قتل عدوه، فمن حقه أن يأخذ ما استطاع انتزاعه من ممتلكات قتيله (سلاحه وملابسه ونقوده وجواهره،...) وذلك فوق نصيبه الذى يستحقه من الغنائم العامة، التى يتركها الأعداء عند هروبهم، ويستطيع الجيش المسلم بمجموع جنوده أن يحصل عليها، والتى يقوم القائد أو الإمام الحاكم بتوزيعها على الجنود.

كان ذلك الحكم صادراً من رسول الله باعتباره رئيس دولة (سلطة

سياسية) وقائداً عاماً للجيش وليس باعتباره نبياً رسولاً يتلقى الوحى من الله (ﷻ) ويؤمر بتعليم الناس الشريعة (القواعد العامة) التى تضبط حياتهم.

فكل الأحكام الخاصة بتقسيم الغنائم وتنظيم الحروب لا مكان لها فى الحروب المعاصرة؛ لأنها ليست من الشريعة (القواعد العامة). ومن ثم فإن حصول المقاتل على سلب مَنْ قتله، لم يكن حكماً عاماً لكل زمان ومكان؛ فهو ليس أمراً دينياً للتشريع للإنسان فى كل العصور، بل كان أمراً يخص الحرب فى ذلك العصر الذى عاش فيه رسول الله ﷺ بجسده.

ولذلك فإنه ﷺ لم يخالف الدين أو الأوامر الالهية عندما قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه: **لا تعط الرجل شيئاً** بعد أن كان قد أمره بإعطاء الرجل سلبه؛ فكلاً الأمرين - الإعطاء والمنع - صدرا من حاكم بشرى يرى مصلحة الأمة بعقله، ولم يصدرا من نبى رسول يتلقى الوحى من الله (ﷻ) ويؤمر بتعليم الناس الشريعة.

ولقد أساء عوف بن مالك الأدب مع خالد بن الوليد، ولم يُظهر له الاحترام الواجب باعتباره القائد الذى أنقذ الجيش من الهلاك، وأدار المعركة بمهارة ونجاح، وكان سبباً فى نجاة الجنود، وكان عوف بن مالك

نفسه والرجل اليمنى ضمن أولئك الجنود الذين كتب الله (ﷻ) لهم النجاه والفوز؛ بفضل حكمة خالد بن الوليد العسكرية وشجاعته التى لا نظير لها.

ويبين حديث رسول الله ﷺ المتاعب التى يعانيها الأمراء والقواد الأمناء، عندما يقومون بأعباء الإمارة والقيادة بكفاءة وإخلاص. ولذلك يجب تقديم الشكر لهم ومعاملتهم بالاحترام الواجب لهم؛ فإنهم يتحملون المتاعب التى أشار إليها بلفظ **كدر الماء** فى سبيل تيسير المعيشة على الناس الذين يشربون **الصفو**.

۞ ۞ ۞

(٨) نسجنا هذه الرواية بمختلف التفاصيل التى حملتها الروايات التى جاءت فى:

١-كتاب «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» - الجزء السادس: ص ٢٢٨ - ٢٦١ من منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف - القاهرة.

٢-سيرة النبى لابن هشام - الجزء الثالث: ص ٣٢٢ - ٣٣٧ من منشورات دار التحرير للطبع والنشر القاهرة - سنة ١٣٨٤ هـ.

٣- الرحيق المختوم صفى الرحمن المباركفورى دار احياء التراث القاهرة.

٤- الأحاديث التى أوردها أو أشار إليها الإمام ابن حجر العسقلانى فى شرحه فى «كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى» للأحاديث:

١٢٤٦، ١٢٩٩، ١٣٠٥، ٢٦٩٩، ٢٧٩٢، ٢٧٩٣، ٢٧٩٤، ٢٧٩٥، ٢٧٩٦، ٢٧٩٨، ٢٨١٧، ٢٨٩٢، ٣٠٦٣، ٣٢٥٠، ٣٢٥٣، ٣٧٠٩، ٣٧٥٧، ٤٢٦٠، ٤٢٦١، ٤٢٦٢، ٤٢٦٣، ٤٢٦٤، ٤٢٦٥، ٤٢٦٦، ٤٢٨٧، ٤٢٦٨، ٦٤١٥، ٦٥٦٨.

٥- الأحاديث: ٧٠٢٤، ٧٠٢٥، ٧٦٤٨، ٧٦٤٩ فى كتاب «صحيح الجامع الصغير وزيادته - الفتح الكبير»- من إعداد الأستاذ محمد ناصر الدين الألبانى.

٦-كتاب «أسد الغابة فى معرفة الصحابة» للإمام ابن الأثير.

ترجمه ثابت بن أقرم - الجزء الأول: ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

ترجمة الحارث بن عمير الازدى - الجزء الأول: ص ٣٨٥.

ترجمة خزيمة بن ثابت الانصارى - الجزء الثانى: ص ١٢٣.

ترجمة زيد بن أرقم – الجزء الثانى: ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

ترجمة عبد الله بن رواحة – الجزء الثالث: ص ١٧٩ – ١٨١.

ترجمة عبادة بن مالك – الجزء الثالث: ص ١٢٢

ترجمة عوف بن مالك – الجزء الرابع: ص ٢٢٤.

ترجمة قطبة بن عامر – الجزء الرابع: ص ٢٨٧.

ترجمة قطبة بن قتادة – الجزء الرابع: ص ٢٨٨.

ترجمة يعلى بن أمية – الجزء الخامس: ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

ترجمة أبو اليسر – الجزء السادس: ص ٦٤.

الكاتب فى سطور

الاسم : توحيد عبد الفتاح حواش الزهيرى

تاريخ الميلاد : ١٦ فبراير ١٩٥٣م.

المهنة : طبيب

عضو عامل باتحاد الكتاب المصريين.

العنوان : جمهورية مصر العربية ـ محافظة القليوبية ـ طوخ ـ منزل رقم ١٩ الطريق السريع ـ أمام نقطة المرور.

تليفون : ٢٤٦١٩٢٦ / ٠١٣

محمول : ٠١٢٨٣٢٢٤١٢٥.

البريد الألكترونى: tawhiedelzohety@gmail.com

الصفحة الرسمية للدكتور/ توحيد الزهيري

https://www.facebook.com/TawhiedElZohery/

عنوانها الصفحة الرسمية للدكتور توحيد الزهيرى

المؤلفـــات المنشـــورة :

(١) **كلمة من الله** – رواية تاريخية تتناول حياة المسيح عيسى ابن مريم فى سياق عرض تاريخى للعصر الذى عاش فيه ـ صدرت فى نوفمبر ١٩٩٣.

(٢) **نحو فلسفة إسلامية للجمال والفن** ـ دراسة تؤسس لموقف إسلامى أصيل فى ميدان فلسفة الفن والجمال. صدرت عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، عن دار القلم ٣٦شارع القصر العيينى القاهرة. ص ب: ٦٥ مجلس الشعب. تطلب من مكتبة الوفاء بدرب الأتراك بالأزهر ومكتبات أخبار اليوم ومكتبات الهيئة العامة للكتاب.

(٣) **القرآن معجزة كل العصور** ـ مدخل إلى فهم النص القرآنى، دار الشعب، القاهرة (٩٢ شارع القصر العينى) عام ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

(٤) **الماء فى القرآن والسنة والعلوم الحديثة** ـ دراسة فى الإعجاز العلمى للقرآن صدرت عن مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة (شارع عبد الله العربى الحى السابع، مدينة نصر) عام ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

(٥) **التحديات التى تواجه العالم الإسلامى** : البحث الفائز بجائزة الدكتور / محمد شوقى الفنجرى لخدمة الدعوة والفقة الإسلامى،

الناشر دار الجميل، القاهرة، عام ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

(٦) **لمحات من حياة نبى الرحمة** ﷺ - سلسلة دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

(٧) **الحريات العامة والحقوق السياسية فى القرآن والسنة**، دار القلم للنشر والتوزيع ن القاهرة (٣٦ شارع القص العينى، ص.ب : ٦٥ مجلس الشعب)، عام ١٤٣٢هـ = ٢٠١١ يطلب من مكتبة دار الوفاء بدرب الأتراك بالأزهر ومكتبات أخبار اليوم ومكتبات الهيئة العامة للكتاب.

(٨) **شرعية الأحزاب السياسية فى القرآن والسنة**، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة (٣٦ شارع قصر العينى، ص.ب : ٦٥ مجلس الشعب)، عام ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م. يطلب من مكتبة دار الوفاء بدرب الأتراك بالأزهر ومكتبات أخبار اليوم ومكتبات الهيئة العامة للكتاب.

(٩) **الطريق إلى غار حراء** - رواية تقص حياة النبى قبل نزول الوحى عليه، تطلب من مكتبة الوفاء (١ درب الأتراك بالأزهر)، ومكتبات أخبار اليوم ومكتبات الهيئة العامة للكتاب.

(١٠) **فى غار حراء عندما عانقت الأرض السماء**، رواية نقص مشهد الوحى فى غار حراء، صدرت عن دار النشر للجامعات، والوادى للثقافة والإعلام، ٢٠١٤.

(١١) **أول الطريق ـ رواية ورؤية لنشأة الكون ونهايته**، صدرت عن الوادى للثقافة والإعلام، ودار النشر للجامعات، ٢٠١٥ تطلب من مكتبات الهيئة العامة للكتاب ومكتبات أخبار اليوم ومكتبة دار الوفاء بالأزهر.

(١٢) **الجمال فى القرآن الكريم**، دراسة لمفهوم الجمال، ومدخل لقراءة النص القرآنى، الوادى للثقافة والإعلام، دار النشر للجامعات، ٢٠١٦. يطلب من مكتبات الهيئة العامة للكتاب، ومكتبات أخبار اليوم ومكتبة دار الوفاء بالأزهر.

(١٣) **حقيقة المعراج ـ تأويل جديد**، دار النشر للجامعات، والوادى للثقافة والإعلام، ٢٠١٦، تطلب من مكتبات الهيئة العامة للكتاب، ومكتبات أخبار اليوم، ومكتبة دار الوفاء بالأزهر.

(١٤) **عند الغروب ولمن الملك؟ روايتان قصيرتان**، دار النشر للجامعات، ٢٠١٦م. تطلب من مكتبات الهيئة العامة للكتاب، ومكتبات أخبار اليوم، ومكتبة دار الوفاء بالأزهر.

(١٥) **سر القدر ـ رواية ورؤية** : دار النشر للجامعات، والوادى للثقافة والإعلام، ٢٠١٦م. تطلب من مكتبات الهيئة العامة للكتاب، ومكتبات أخبار اليوم ومكتبة دار الوفاء بالأزهر.

(١٦) **ما معنى تجديد الخطاب الدينى؟ رسالة لمن يهمه الأمر**.. دار النشر للجامعات، والوادى للثقافة والإعلام ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م يطلب من مكتبات الهيئة العامة للكتاب، ومكتبات أخبار اليوم، ومكتبة دار الوفاء بالأزهر.

(١٧) **فتنة الخوارج ـ ما أشبه الليلة بالبارحة !!** دار النشر للجامعات ٢٠١٧.

(١٨) الزكاة طريق العودة إلى حقيقة الإسلام ـ دار الإيمان للطبع والنشر. يطلب من المكتبة ١ درب الأتراك بالأزهر.

(١٩) فتنة السلطان ـ رواية ورؤية ـ دار الإيمان للطبع والنشر يطلب من المكتبة ١ درب الأتراك بالأزهر.